

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

السلطة الروحية وعلاقتها بالسلطة العثمانية في الجزائر العثمانية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف الدكتور

بيرم كمال

شعبة: التاريخ

إعداد الطالبة:

حاجي حميدة

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد بوضياف	الأستاذ صالح لميش
مشرفا و مقررا	جامعة محمد بوضياف	الأستاذ بيرم كمال
مناقشا	جامعة محمد بوضياف	الأستاذ ابراهيم مرزقلال

السنة الجامعية: 1439هـ-1440هـ/2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾

سورة النمل الآية 40

وقال حبيبنا عليه السلام (لا يشكر الله من لا يشكر الناس).

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل الدكتور (بيرم كمال) الذي لم يبخل عليا بإرشاداته

ونصائحه القيمة طوال مشوار هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتنا الكرام الذين تفضلوا علينا بتوجيهاتهم القيمة وتعلمنا منهم

أن الأخلاق قبل العلم وقمة الأخلاق هي التواضع.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة في قسم

التاريخ.

إهداء

إلى سندي وسبب وجودي والديا الكريمين: أمي الحبيبة وأبي

الغالي أطال الله في عمرهما وأنعم عليهما بالصحة والعافية .

إلى أعزما أملك في البيت بعد أمي وأبي: أختي وإخواني حفظهم الله .

إلى كل أفراد عائلتي وصديقاتي الغاليات جزاهم الله خير جزاء

إلى جميع أساتذتي جزاهم الله خيرا

إلى كل من آمن بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا

ورسولا

أهدي هذا الجهد المتواضع راجية المولى عزوجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن

ينفع به ويجعله مقاربا للصواب

قائمة المختصرات

جزء	ج
ديوان المطبوعات الجامعية	د،م،ج
صفحة	ص
صفحات عديدة	ص ص
مجلة الدراسات التاريخية	م،د،ت
ميلادي	م
هجري	هـ
التاريخ الحديث والمعاصر	ت،ح،م
تقديم	تق
تعريب	تع
تحقيق	تح
المؤسسة الوطنية للكتاب	م،و،ك
المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع	م،و،ن،ت

مقدمة

كانت الأوضاع السياسية في الجزائر في النصف الثاني من القرن الخامس عشر هشة، فالدولة الزيانية كانت في مرحلة متقدمة من الضعف بسبب التنازع على الحكم داخل الأسرة الحاكمة، وكذا صرعها مع المرينيين ثم الوطاسين الذين كانوا يشنون هجمات عليها، وقد استغل الإسبان هذا الوضع المتأزم فشنوا هجمات واستولوا على أغلب المدن الساحلية، وفي ظل عز الزيانيين على التصدي للإسبان برز دور العلماء الذين بدأوا في حث الناس على الجهاد ضد الإسبان.

ولكن بسبب الضعف العام واستغلال معظم المدن والقبائل بأقاليمها أصبح من غير الممكن تجميع قوات كافية وإيجاد قادة أقوياء يحملون على عاتقهم مهمة الجهاد، لذلك كان العلماء يبحثون عن سلطة إسلامية قوية للتحالف معهم ضد الإسبان في ضوء ضعف الزيانيين والحفصيين، ومن هنا جاءت فكرة مراسلة العثمانيين الذين كانت لهم سمعة طيبة في محاربة الأعداء، وقد وصلت أخبار انتصاراتهم إلى سكان المنظمة. الإخوة بربروس ولذلك راسل العلماء والأعيان الأخوة عروج وخير الدين طالبين منهم الحماية، فلبوا النداء وربطتهم علاقات طيبة مع الأهالي وخاصة مع فئة العلماء والمرابطين حيث سعى خير الدين لكسب ود العلماء والمتصوفة الذين لهم مكانة كبيرة بين الناس فأيدوه في بسط نفوذه في البلاد، ومن ثم جاء موضوع بحثنا الموسوم ب: السلطة الروحية وعلاقتها بالسلطة العثمانية.

ولقد كانت الدوافع وراء اختيار لهذا الموضوع دوافع ذاتية وأخرى موضوعية:

1-دوافع ذاتية تمثلت فيما يلي:

-ميولي الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية.

-الرغبة الملحة في معرفة نوع العلاقة بين السلطة الروحية والسلطة العثمانية.

2-الدوافع الموضوعية فكانت:

البحث في طبيعة العلاقة بين السلطة الروحية والسلطة العثمانية بداية القرن 16 إلى

بداية القرن 19 في إيالة الجزائر.

إشكالية البحث

تتمحور إشكالية موضوع الدراسة حول طبيعة العلاقة بين السلطة الروحية بالسلطة العثمانية من القرن 16م إلى القرن 19م: كيف كانت طبيعة العلاقة بين العلماء الذين يمثلون السلطة الروحية وبين السلطة العثمانية؟

ومما لاشك فيه أن هناك أسئلة أخرى بحاجة إلى الإجابة عليها هي:

- ماهي الظروف التي دفعت بالجزائريين للإستجداد بالعثمانيين؟
- كم نحتاج لمعرفة ماهية السلطة الروحية ومميزاتها ووظائفها في المدينة والريف؟ وما هي أهم مراكزها؟
- ما هي أدوار السلطة الروحية؟
- كيف كانت مكانة السلطة الروحية في المجتمع؟
- ما هي علاقة السلطة الروحية بالسلطة العثمانية، وما هي دوافع تقاربها ودوافع توتر العلاقة؟

مناهج البحث

وقد اتبعت في دراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل حيث قمت بوصف العلاقة التي تربط السلطة الروحية بالسلطة العثمانية في الجزائر العثمانية وتطورها عبر الزمن، وقد تطلب مني هذا تحليل وقائع انتقال العلاقة بينهما من تقارب وود إلى توتر وعداء.

المصادر والمراجع

- واعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع من بينها:
- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لأحمد بن سحنون الذي بين لنا العلاقة الحسنة والإيجابية بين العلماء والسلطة.
- ابن حمدوش الجزائري أفادني هو الآخر في معرفة علاقة العلماء بالسلطة.
- مذكرات أحمد الشريف الزهار لأحمد الشريف الزهار الذي استعنا به في عرض الوقائع والأحداث التي عرفت الجزائر منذ النصف الثاني من القرن 18 وإلى غاية وقوعها تحت الإحتلال، كما ساعدنا في ذكر الضرائب المفروضة على الجزائريين في العهد العثماني.

وعلى جملة من المراجع أهمها:

تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله ومجموعة من أعمال نصر الدين سعيدون اللذان أفاداني في التعرف على الأوضاع الثقافية السائدة في المجتمع الجزائري.

خطة البحث

وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة تضمنت مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول رئيسية وتليهم الخاتمة، وتعرضنا في هذه الخطة إلى النقاط التالية: فصل تمهيدي: هو عبارة عن مدخل للموضوع بدأ بإرتباط الجزائر بالدولة العثمانية بعد إستتجاد الجزائريين بهم سنة 1519م، وارتباط العلماء بالعثمانيين.

الفصل الأول: العنوان المفهوم السلطة مميزاتها ووظائفها ويقسم إلى ثلاث مباحث المبحث الأول مفهوم السلطة والمبحث الثاني مميزات السلطة الروحية بالمدينة والريف أما المبحث الثالث مراكز السلطة الروحية والتي تضمنت الكتاتيب، المساجد، الزوايا المدارس.

أما الفصل الثاني: والذي بعنوان موارد وأدوار السلطة الروحية والذي يتقسم إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول الموارد المالية لسلطة الروحية والتي تضمنت الوقف، الضرائب الهدايا والعطايا والمبحث الثاني أدوار السلطة الروحية تناولت فيه دور تعليمي وديني ودور اجتماعي و اقتصادي ودور اصلاحي وقضائي، دور أممي وجهادي، أما المبحث الثالث مكانة السلطة الروحية في المجتمع وتضمن مكانة العلماء في المدن ومكانة المرابطين في الريف.

أما الفصل الثالث: فتضمن علاقة السلطة الروحية بالسلطة العثمانية، وقد تناولنا فيه مبحثين المبحث الأول دوافع التقارب والود بين الحكام والعلماء وضمنه العمل الجهادي أو الجهاد ضد عدو مشترك والمعتقدات الدينية لدى العثمانيين، أما المبحث الثاني تناولت فيه دوافع التوتر والعداء السياسة الضريبية أواخر العهد العثماني كما عرضت علاقة السلطة بالمجتمع وعلاقة الحاكم بالمحكوم .

وفي الأخير إستخلصتها خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا من دراستنا ثم تلتها.

صعوبات البحث

ومن الطبيعي أن يعترض الباحث جملة من الصعوبات والعراقيل التي تختلف حسب طبيعة كل موضوع، ومن الصعوبات التي واجهتني في دراسة هذا الموضوع نذكر:

- رغم كثرة المراجع التي تناولت الفترة العثمانية إلا أن التي تتحدث عن العلاقة بين السلطة الروحية والعثمانية قليلة جدا فلا نكاد نجد إلا شذرات هنا وهناك.
- قلة الوثائق الرسمية التي تبرز هذه العلاقة، وإن وجدت لم تعطي صورة واضحة عن طبيعة العلاقة بين العلماء والسلطة.
- عدم اعتمادي على المصادر والمراجع الأجنبية، وهذا العائق اللغة الذي وقف حاجزا على التعمق أكثر في الموضوع.
- كما أن الوقت كان أكبر عدو لي حيث لم أتمكن من الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع إلا بصعوبة بالغة نظرا لتشعبه.

أهداف الدراسة

وبالحديث عن الأهداف التي أسعى لتحقيقها من خلال هذا الموضوع فإن أهم هدف هو إعطاء فكرة واضحة عن الدور الذي قام به العلماء في المجتمع الجزائري خاصة في المحافظة على مظاهر الحياة الثقافية، وكذا دورهم في حث الحاكم عن الجهاد ضد الإسبان، لأتمكن في الأخير من بناء فكرة عامة عن العلاقة بين السلطة الروحية والسلطة العثمانية طيلة الحكم العثماني بالجزائر.

- كتاب الضوء اللامع للسخاوي (ت/902هـ) اعتمدنا عليه بغرض ذكر بعض علماء وفقهاء مدينة بسكرة .

دون أن يفوتنا ذكر بعض المراجع التي اعتمدنا عليها في تقوية بحثنا منها:

- كتاب المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الاوسط " لظاهر الطويل أفادنا في التعريف ببعض مدن الزاب وكذلك ضبط مفهوم المدينة الإسلامية وفي حصر شروط أو خصائص تخطيط المدن .

-كتاب "تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية الفترة الرومانية لمحمد الصغير غانم أفادنا ، بوصفه مدينة بسكرة .

-كتاب تعريف الخلف برجال السلف "لأبو القاسم الحفناوي الذي بدوره استقدنا منه في ذكر علماء مدينة بسكرة.

-كتاب الصحراء الكبرى وشواطئها، وكتاب المدن المغربية لإسماعيل العربي استقدنا منه في وصف مدن الزاب وفي تحديد الموقع الفلكي لمدينة بسكرة .

وقد واجهتني من خلال إنجازي لبحثي هذا بعض الصعوبات أهمها ندرة المادة العلمية المتعلقة بمدن إقليم الزاب في الفترة المحددة لدراستنا من الناحية الحضارية والثقافية لإمارة بني مزني بحيث تركزت المادة العلمية على الجانب السياسي فقط ولذلك أظطرت إلى الخروج عن الاطار الزمني المحدد من أجل ذكر بعض جوانب ومظاهر الحياة الثقافية حرصا على تغطية جميع زوايا ومحطات البحث على أمل أن لا يكون هذا الخروج مخل بسيرورة الدراسة وفي الأخير أشكر الله عز وجل على توفيقه.

المدخل التمهيدي

إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية من

القرن 16م

-المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس وإلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية

-المبحث الثاني: الإلتصال بين العثمانيين والعلماء في إيالة الجزائر

المدخل المفاهيمي..... إتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية القرن 16م

1- ظهور الإخوة بربروس وإحاق الجزائر بالدولة العثمانية

لقد كانت الدولة العثمانية في بداية القرن 16 قوة ضاربة في المشرق الأدنى وفي شرقي الحوض المتوسط، كما كانت تمثل قوة إسلامية فتية، حيث حاولوا منع الدول الغربية من بسط نفوذها على العالم الإسلامي، وهذا لتوحيد المسلمين⁽¹⁾. كسبوا ثقة العرب بعد تمكنهم من القضاء على الدولة البيزنطية التي هي إمتداد لدولة روما والتي قامت بغزو الأمة العربية طول تسعة قرون⁽²⁾.

أما الوجود العثماني في الحوض الغربي للبحر المتوسط كان في المحنة التي تعرض لها الأندلسيون⁽³⁾ سنة 1453م، بسبب القوى الصليبية وحاول البرتغاليون والإسبان السيطرة على شمال إفريقيا وطمس عروبة الأهالي وتتصيرهم، فجعل العثمانيون أنفسهم فداء للدفاع عن الإسلام ونقل الأندلسيون إلى سواحل المغرب الإسلامي⁽⁴⁾. وقد ذكر في هذا السياق أبي الضياف "بعد سلسلة من حروب الاسترداد التي قادتها المماليك المسيحية الإسبانية ضد الوجود الإسلامي وحتى سواحل شمال إفريقيا، والتي تبعته حالة من التدهور والإنهيار والضعف في أوضاع المغرب الإسلامي، فقد إنتهت دولة الإسلام في الأندلس ولم تبقى أي منطقة لم يمسه الغزو من أقصى السواحل الغربية في المحيط الأطلسي في المغرب وإلى السواحل التونسية"⁽⁵⁾.

في الوقت نفسه أي بداية القرن السادس عشر مرت الجزائر بظروف صعبة، خطر إسباني وبرتغالي وإحتلالهم الموانئ الجزائرية، وفرض الضرائب والجزية على سكانها الذين كانوا عاجزين عن حماية أنفسهم ومقاومة الغزو الإسباني، وهذا راجع لتفوق القبائل

(1)- شوقي عطا الله الجميل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005م، ص95.

(2)- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص51.

(3)- عبد المنعم الجميعي: الدولة العثمانية والمغرب العربي، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1988م، ص10.

(4)- جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 2007م، ص20.

(5)- ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان وأخبار تونس في عهد الأمان، ط2، ج1، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت)، ص121.

المدخل المفاهيمي..... إتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية القرن 16م

وضعف الأسلحة واستعمالهم وسائل دفاعية بسيطة، هذا الأمر الذي دفعهم لطلب النجدة والحماية من الأشخاص القادرين على مساعدتهم⁽¹⁾، في هذه الظروف ظهر الإخوة عروج⁽²⁾ وخير الدين اللذان كانا قد إكتسبا سمعة وشهرة بعد تصديهم للإسبان وإنقاذ الأندلسيين فأصبحوا محط أنظار كامل المسلمين وأملهم الوحيد، حتى جاءتهم طلبات الإستغاثة من قبل أهل بجاية وعلماؤها وأعيانها⁽³⁾.

وأول من طلب النجدة من عروج هم سكان بجاية، فلبى النداء ثم زحف من بجاية إلى جيجل سنة 1914م، وحسب رواية "عبد الرحمان التلمساني"، فإن السكان هم من راسل الأخوة بربروس بجيجل برسالة جاء فيها: "أخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين فهنيئاً لكم أيها المجاهدون ولا بد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا في محنة عظيمة وذل شديد"⁽⁴⁾.

وهذا العمل حسب التميمي قد ترك لهم انطبعا حسنا وتكرر التعاون بين العثمانيين وسكان البلاد في كل من شرشال ووهران، وعنابة، دلس والجزائر⁽⁵⁾. وفي السنة الموالية أي 1515م خلع عروج مدينة شرشال ثم تبعها مدينة الجزائر كانت هذه أولى الإنتصارات التي حققها ضد الإسبان⁽⁶⁾.

وبعدما أصبح عروج حاكم فرض سلطانه على أمراء وأعيان في المغرب الأوسط وقد كانت له صراعات مع حاكم الجزائر سليم تومي ثم مع حاكم تلمسان وتشير

(1)-عمار بوحوش: المرجع السابق، ص53.

(2)-عروج وخير الدين: هما اللذان عرفا بإسم بربروس أي أصحاب اللحية الحمراء وأخويهما الآخرين اسحاق وإلياس من أشهر قادة الجهاد الإسلامي، وأكثرهم شجاعة ومغامرات في الحوض الغربي للبحر المتوسط، في عهد الدولة العثمانية.للمزيد أنظر: أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847م، ج1، ط2، دار الرائد للكتابة، الجزائر، 2004م، ص33.

(3)-أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492هـ-1792م، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1965م، ص162.

(4)-التلمساني محمد بن عبد الرحمان: الزهرة النيرة، لما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، ع3، جويلية، 1967م، ص32.

(5)-عبد الجليل التميمي: أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية، ع6، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1976م، ص17.

(6)-صالح حيمر: التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م-2007م، ص41.

المدخل المفاهيمي..... إتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية القرن 16م

المصادر إلى أن عروج قتل في الحصار الإسباني على تلمسان سنة 1518م، وقد توفي وهو ملك على مدينة الجزائر بعد إرساء قوته لمواصلة المواجهة الإسلامية للحصار المسيحي⁽¹⁾.

وبعد استشهاد عروج تأثر خير الدين بربروس بهذه الحادثة وتركت له أثر سلبي ضف إلى ذلك قل العدد والعدة وتمردات بعض المناطق المتحالفة معه، وعودة بعض الحكام إلى الحكم بعد أن كانوا معزولين، لكن بعد تحالفهم مع الإسبان عادوا⁽²⁾، فقرر ترك مدينة الجزائر فجمع العلماء والصلحاء للجزائر وخاطبهم: "إني قد عزمت على السفارة إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو ... إني تركت في بلادكم أكثر من أربعة مئة مدفع ولم يكن في بلادكم مدفع واحد..."، إلا أن الفقهاء وأعيان الجزائر طلبوا منه وتضرعوا له من أجل البقاء وكتبوا له: "أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بالذهاب ... فإن الله يسألك عنهم.... وأنه يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذب عن ضعفاء أهلها، ولا رخصة لك في الذهاب وتركهم عرضة للعدو"⁽³⁾.

وبعد إلحاح السكان على خير الدين بالبقاء، قام بإرسال مبعوث إلى السلطان العثماني سليم الأول⁽⁵⁾ يطلب منه المساعدة ويخبره بمميزات الجزائر ومؤهلاتها لتكون قاعدة إسلامية أمامية للقتال ضد الكفار فستجاب سليم الأول لطلبه⁽⁶⁾.

(1) -سامح عزيز ألتتر: الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر: ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1989م، ص ص38-39.

(2) - غزوات خير الدين بربروس وعروج، تصحيح وتعليق، نور الدين وعبد القادر، مكتبة رودسي بن قدور، الجزائر، 1930م، ص 41.

(3) -محمد بن رقية التلمساني بن عبد الرحمان: الزهر النيرة بما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع3، 1967م، ص ص 13-14.

(5) -سليم الأول 1470هـ-1520م سلطان عثماني سنة 1512-1520م أكره أباه بايزيد الثاني على التنازل له على العرش سنة 1512م إضطهد الشيعة وهزم الشاه اسماعيل الأول الصفوي في موقعه جالدران 1514م، فتح سوريا 1516م، مصر 1517م، تربع على عرش الخلافة فكان أول الخلفاء العثمانيين للمزيد أنظر: منير البعلبكي، معجم الأعلام المورد وموسوعة التراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد، ط1، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، 1992م، ص 241.

(6) - غزوات خير الدين بربروس وعروج، المرجع السابق، ص 41.

المدخل المفاهيمي..... إتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية القرن 16م

ومن هنا بدأت العلاقات بين الجزائر والعثمانيين وكانت علاقات ودية جهادية هادفة وبهذا أصبحت الدولة الجزائرية موحدة ومجاهدة مبنية على أساس وقاعدة متينة⁽¹⁾. وبعد هذا قام خير الدين بتوجيه رسائل إلى كل حكام تونس وتلمسان يحذرهم من الإعتداء على حدود إمارات الجزائر، وتم تعيين خير الدين كأول حاكم تركي على الجزائر من طرف السلطان العثماني وأصبح يلقب "بالبيلر باي"⁽²⁾.⁽³⁾ وبعدها أرسل خير الدين وفدا إلى السلطان سليم يحملون معهم رسالة من الأهالي طالبين فيها الإنضمام إلى الدولة العثمانية وجاء فيها : "... نحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة لمقامكم العالي..."⁽⁴⁾، وعليه أصبحت الجزائر من ولايات الخلافة العثمانية وقوة يحسب لها ألف حساب على المستوى الدولي⁽⁵⁾.

وبعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية رسميا سنة 1519م، بدأ خير الدين نشاطه بتنظيم أمور الدولة الجديدة وعمل على تسخير كل الطاقات والإمكانات ليؤمن متطلبات الحرب والدفاع لمواجهة الهجمات الأسبانية ووضع حد لها⁽⁶⁾.

2-الاتصال بين العثمانيين والعلماء في إيالة الجزائر

ظهر العثمانيون في الجزائر بعد نهاية الأسرة الزيانية في تلمسان، فإنقسم المرابطون والعلماء بين المعارض والمؤيد، للعثمانيين ناقمين على الوضع الذي وصلت إليه المدينة وقد كان أحمد بن يوسف الملياني مؤيدا ومتحالف مع العثمانيين المرابطين في المنطقة⁽⁷⁾

(1)-أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص157.

(2)-بيلرباي: هي كلمة تعني أمير الأمراء وهو لقب يمنحه السلطان على أمير منطقة ما، مع كسوة الشرف (القطنان) تعبيرا له على مكانتها المرموقة وتمييزا له، للمزيد أنظر: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص57.

(3)-صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص ص 104-105.

(4)-محمد بن رقية التلمساني: المرجع السابق، ص14.

(5)-صالح فركوس: المرجع السابق، ص105.

(6)-بسام العسلي و خير الدين بربروس: ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1908م، ص109.

(7)-محمد مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، الطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص266.

المدخل المفاهيمي..... إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية القرن 16م

فالملياني كان ينتمي إلى الطريقة الشاذلية⁽¹⁾، وكان يتمتع بنفوذ كبير وسط الأهالي حيث اعتقدوا حسب ما ذكر "الصباغ" أن الله ينزل غضبه على من أغضبه وأن سقوط وهران المرسي الكبير ما هي إلا دعوته على الزيانيين⁽²⁾.

وقد كان أول اتصال بين العثمانيين والعلماء هو اتصال عروج بأحمد بن يوسف الملياني سنة 1517م، غرب مدينة وهران، وجاء الإخوة بربروس مع أسير مغربي كدليل لهم، وهو الذي نصحهم بالتقرب والاتصال برجل ذو نفوذ روحي، وقد قال له عروج أنه سيصدق ولاية وكرامة الشيخ إذا استطاع أن يطلعه عن مقاصده وإذا وافق سيقبل رجليه ويطلب منه الدعاء الصالح، وما إن وصل إلى الشيخ قال له هذا الأخير: "عزمت إذن وأصحابك على الهجوم على العدو" فجتى عروج عند قدميه، ومن هنا بدأ أول تحالف عثماني مرابطي بالجزائر، وهذا لمعرفة وإدراك العثمانيين بأن رجال التصوف هم خير خليفة لهم في صراعاتهم ضد الإسبان⁽³⁾.

بعد استقرار الإخوة بربروس بالجزائر، ووفاة عروج سنة 1518م تلزم خير الدين بإرسال هدايا ثمينة للشيخ الملياني اعترافا منه للجميل الذي قدمه ومساعدته ضد الزيانيين ومبلغ مالي يقدر بـ: 4000 دينار⁽⁴⁾.

لكن رغم هذا كله إلا أننا نلمس أن الملياني كان متحفظا من جهة العثمانيين وحكمهم وأبرز دليل على ذلك الرسالة التي بعثها الشيخ إلى خير الدين قائلا: "... إن حكمك لا يجري علينا ولا على نسلنا ولا على من تعلق بنا ولا على نسلهم فإن رهبتم أحسنتم وإن خالفتم عوقبتم"⁽⁵⁾. وقد حافظ العثمانيون على شرط الملياني حتى عام 1830م، كما ظل أتباعه مؤيدين للسلطة متتبعين نفس نهجه في علاقته مع العثمانيين ومثال ذلك علاقة أحد أتباعه ببايات وهران وهو "ابن شعاشة" التي خدم العثمانيين مقابل

⁽¹⁾ -المزاري بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1990م، ص74.

⁽²⁾ -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008، ج1، ص496

⁽³⁾ -صادق محمد الحاج: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د.م.ج، الجزائر، 1964م، ص101.

⁽⁴⁾ -ابن مريم: المصدر السابق، ص214.

⁽⁵⁾ -نفسه: ص105.

المدخل المفاهيمي..... إتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية القرن 16م

بعض الامتيازات لإعفاء من الضرائب ومنحه أرض كوقف له، إضافة إلى أن الحاكم هم أيضا حافظوا

على وعدهم للملياني طوال فترة تواجدهم بالجزائر وأبرز دليل على هذا أن حسين باشا وصل به الدرجة لحد مصاهرة هذه العائلة⁽¹⁾.

أما بالنسبة لمنطقة القبائل قد انتهت بتسليم بشرعية الحكم العثماني بعدما عرفت عدة صدمات عنيفة بينها وبين العثمانيين في عهد خير الدين وحسن بن خير الدين⁽²⁾.

وعليه يمكن القول أن خير الدين حاز على ثقة الأهالي بسبب معاملته الدينية واحترامه للمشايخ والعلماء، حيث إحتكر هذا الأخير بأكثرهم شهرة ونفوذاً، وهذا ما جعله هو وخلفه يبسطون سلطتهم بالجزائر لمدة طويلة.

⁽¹⁾-صادق محمد الحاج: المرجع السابق، ص 158.

⁽²⁾-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص211.

الفصل الأول

السلطة الروحية مميزاتها ووظائفها

-المبحث الأول: مفهوم السلطة الروحية

-المبحث الثاني: مميزات السلطة الروحية بالمدينة والريف

-المبحث الثالث: مراكز السلطة الروحية

المبحث الأول: مفهوم السلطة الروحية

من خلال البحث في موضوع السلطة أدركت أنه من المفاهيم التي يصعب تحديدها وضبطها نظرا للإختلاف الكبير الحاصل بين المفكرين في شأنها، حتى أن هناك من جعل إعطاء مفهوم للسلطة ربما سيكون أكثر سلطوية، لأن صاحبه سيد عيسى لا محالة أنه المفهوم القويم والسليم، وبذلك سيمارس سلطة قهر ملحوظ، فالتعريف ليس فقط هو تحديد العلاقة بين الدال والدلول، وإنما هو أيضا فرض المفاهيم على الأشياء⁽¹⁾، كما أن هناك مفاهيم مقارنة لمفهوم السلطة التي تتقاسم معه أحد معانيها الأمر صعب من إطلاق تعريف جامع لسلطة، فهناك مفاهيم نذكر منها: الاستغلال، السيادة، الدولة الملك... وغيرها تلتقي مع مفهوم السلطة من ناحية أو من أخرى.

ومن جهة أخرى فقد تعددت وتطورت أشكال السلطة منذ عرف الإنسان الاجتماع فمن السلطة والعشيرة أو القبيلة إلى سلطة الإمارة والمملكة وصولا إلى سلطة الدولة⁽²⁾، فيما يرى البعض أن السلطة قد تكون أخلاقية أو قد تكون علمية⁽³⁾، حيث يرى "نتيشه" إلى أن معنى السلطة يشمل كل ما يمكن أن يحجب إدارة القوة لدى الإنسان⁽⁴⁾، وهكذا اشتغل الباحثون بدراسة مختلف مجالات نفوذ السلطة أو إمتدادها ما أدى إلى بروز مفهوم جديد هو "ممارسة السلطة" ذلك أن جل النظريات تتعامل مع السلطة على أنها ممارسة فعل يتم من خلال إجراءات معينة تقسمها دراسات علم الاجتماع إلى أربعة أمور هي: التبادل المصلحة المشتركة، التضامن وإجماع الرأي، السيطرة⁽⁵⁾.

وقد قام ابن خلدون بدراسة مختلف الجوانب في مقدمته فجعلها من آثار الملك الذي هو منصب طبيعي للإنسان لأن البشر لا تكمن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات⁽⁶⁾.

(1)- عمر أوكان: مدخل لدراسة النص والسلطة، ط1، مطبعة افريقيا الشروق، الدار البيضاء، 1991م، ص11.

(2)- خليل أحمد خليل: العرب والقيادة، دار الحداثة، ط1، بيروت، 1981م، ص49.

(3)- الموسوعة العسكرية: مجموعة من المؤلفين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990م، ص312.

(4)- نتيشه: بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2007، ص ص 9-19.

(5)- الموسوعة العسكري، المرجع السابق، ص312.

(6)- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ديوان المبتدأ والخبر، ط1، دار الفكر بيروت، لبنان، 2004، ص201.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

مع العلم أن بن خلدون لم يشير إلى مفهوم السلطة بالتحديد وإنما تناوله من خلال عدة مفاهيم كالعدالة والملك والخلافة⁽¹⁾.

لغويا وراء فعل سلط (السلطة) في لسان العرب لابن منظور بمعنى القهر والاسم سلط والسلطان الحجة والبرهان⁽²⁾.

أما اصطلاحاً فقد اختلف مفهوم السلطة من علماء الاجتماع إلى الفلاسفة إلى السياسيين وغيرهم ونجد في قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثلاث معاني لمفهوم السلطة فهو يعتبرها من جهة بمعنى الحكم، ثم بمعنى القدرة والقوة، وبمعناها السياسي⁽³⁾.

أما يذهب جان وليام لابياري في كتابه "السلطة السياسية" إلى تعريف السلطة على أنها ليست مفهوماً سياسياً مطلقاً، وإنما هي تجسيد لواقع اجتماعي تكون حيث يكون التجمع البشري⁽⁴⁾، هذا فيما يرى معظم الباحثين أن الدولة هي التجسيد الفعلي والأخير للسلطة وهذا لإمتلاكها وسائل الإكراه والقوة لتطبيق القوانين في المجتمع⁽⁵⁾.

وقد كانت السلطة في الدولة الحديثة تقسم إلى سلطات التشريعية وتنفيذية وقضائية وغيرها فقد اتخذت السلطة العثمانية منذ نشأتها صبغة مؤسسات حكم ينظمها منطلق واحد وجامع لمكوناتها المتشعبة والمختلفة ويرى بعض الباحثين أن الإمام بخصائص هذه المؤسسات وما اختطته لنفسها من مبادئ وقوانين تنظيمية ونظم تشريعية كبرى، يؤكد

⁽¹⁾-محمد مقصودة: الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014، ص143.

⁽²⁾-ابن منظور محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج5، ص2065.

⁽³⁾-سامي ذبيان وآخرون: قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 1990م، ص261.

⁽⁴⁾-جان وليام لابياري: السلطة السياسية، ط3، ترجمة إلياس حنا إلياس، ط3، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1977م، ص49.

⁽⁵⁾-عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ط3، تحرير ماجد نعمة، أسعد رزوق وآخرون، ج3، بيروت، 1990، ص312.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

إستحالة الركون إلى أية منهجية في التحليل تحاول أن تعين طبيعة هذه السلطة عن طريق دراسة المؤسسات القوى التي شكلت مبانها المختلفة⁽¹⁾.

وقد عرفها خالد زيادة بأنها: "تلك الهيئات التي تربط الحاكم الشرعي بالحاكم وتقود الأهالي في الوقت نفسه سواء كانوا رؤساء دينيون أو مشايخ حرف أو مشايخ حارات..."⁽²⁾.

كما قد عرفها ريمون "Raymond" أنها مجتمع واسع وغامض غير متحد في نشاطاته يضم العلماء أو رجال الدين أو رجال القانون التي تضم أعضاء الهيئات القضائية والدينية والتعليمية (مساجد، مدارس...) وطلبة المساجد الكبرى والمدارس وشيوخ الطرق الصوفية والأشراف، فهذا التجمع لم يشكل تلاحما اجتماعيا بل شكل تنظيم تمثل في مختلف المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية حيث كانوا مجرد وسطاء بين الحاكم والرعية⁽³⁾.

أما "كوثراني" فيعرفها على أنها: "مجموعة واسعة من الأفراد الذين يشكلون المؤسسة الدينية من أئمة ومؤذنين وخطباء مساجد، والقائمين على القراء والوعاظ وخدام الأضرحة والمقابر والمزارات..."⁽⁴⁾.

ولقد ظهرت السلطة الروحية في الجزائر قبيل الوجود العثماني أين استمرت واتسعت لعدة عوامل وتطورات سياسية واجتماعية كتردي الأوضاع السياسية بالجزائر وظهور العثمانيين الذين كان حكمهم في الأرياف غير مباشر وتشجيعهم غير المحدود للمرابطين، حيث كان لهم دور فعال في إرساء الحكم العثماني الذي استمر من 1519م إلى 1830م⁽⁵⁾.

فالعثمانيون رغم طول فترة حكمهم للجزائر إلا أن سلطتهم حسب جل المؤرخين لم تتجاوز سدس البلاد، حيث بقيت عدة قبائل مستقلة استقلالاً تاماً وأخرى تربطها روابط واهية⁽⁶⁾ فهذه القبائل

⁽¹⁾-حسن الضيقة: الدولة العثمانية الثقافية المجتمع والسلطة، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1997، ص11.

⁽²⁾-خالد زيادة: السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، ع39-40، 1980، تونس، ص513.

⁽³⁾-André Raymond : grandes villes Arabes à l'époque ottomane , Sindbad, paris, 1985, p79.

⁽⁴⁾-وجيه كوثراني: السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولايات العثمانية في بلاد الشام، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1988م، ص44.

⁽⁵⁾-شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص378.

⁽⁶⁾-علي خنوف: السلطة في الأرياف الشمالية لبابك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999م، ص20.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

التي عصت العثمانيين شكلت قوة مضادة ومستقلة لها حكمها وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية خاصة في المناطق البعيدة عن السلطة والمناطق الجبلية التي يقول عليها الزهار: "كلهم عصاة لا يتصرف فيهم إلا أبا أو الباي بل يتصرف فيهم المرابط"⁽¹⁾.

حيث أن سلطته تركزت أساسا على الإحترام والوقار الوازع الديني والأخلاقي عكس السلطة المركزية التي تعتمد على القوة، هذا ما جعل القبائل تضع ثقتها التامة في السلطة الروحية التي وجدت ضالتها في الإنتساب إليها⁽²⁾، وخاصة فئة المرابطين حيث يقول حمدان خوجة: "أن هذه القبائل وضعت ثقتها التامة بالمرابطين"⁽³⁾.

وعليه سعى العثمانيون إلى ربط العلاقات مع السلطة الدينية وحكم البلاد بواسطة أهلها أنفسهم، وهذا راجع إلى قلة عددهم وقوتهم وأصولهم لأنها لم تسمح بحكم البلاد بطريقة مباشرة فحاولوا خلق إطار لتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية فأوجدوا طريقة إدارية تمثلت في حكم الجزائريين بواسطة الجزائريين عن طريق القوى المحلية الدينية أو الروحية أو القلبية، وهذا من خلال التقرب من شيوخها ومرابطيها بالهدايا واسقاط الضرائب عنهم ومنحهم بعض المناصب كجباة للضرائب، ووسطاء أثناء التمردات المحلية، وسفراء ومفاوضين أثناء الحروب مع جيرانهم... إلخ⁽⁴⁾.

وقد تمثلت هذه القوى الروحية في الأسر العلمية والشريفة بالمدن بأسرة الفكون وعبد المؤمن وابن باديس وغيرها أما في الريف فقد تمثلت في آل مقران بمجانة والتيجانيين وأولاد سيدي الشيخ ببايلك الغرب، وأسرة بن عرعار أعالي خليج بجاية، وزاوية سيدي إدريس جنوب القل⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ - أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب الأشراف الجزائري، تقديم أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972م، ص48.

⁽²⁾ - علي خنوف: المرجع السابق، ص52.

⁽³⁾ - عثمان بن حمدان خوجة: المرأة، تح و تع: محمد العربي الزبيري: ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975، ص110.

⁽⁴⁾ - محفوظ قداش: الجزائر في العهد التركي، الأصالة، ع52، 1977، الجزائر، ص10-11.

⁽⁵⁾ - علي خنوف: المرجع السابق، ص57.

المبحث الثاني:مميزات ووظائف السلطة الروحية بالمدينة في الجزائر العثمانية

تنتمي إلى سكان المدن (فئة الحضر) والتي تأتي في المرتبة الثالثة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني⁽¹⁾، وهي فئة لم تطمح للمناصب السياسية بل اكتفت بالوظائف الدينية والعلمية⁽²⁾، وبعض الصلاحيات المرتبطة بها، وقد ظمت الأئمة الخطباء، الوعاظ، المؤذنون والقائمون بشؤون المساجد⁽³⁾.

وقد كان الفقهاء يشكلون في الجزائر العاصمة وحدها نسبة 6% من السكان وحماية الطبقة الحاكمة لهم جعلهم وسطاء بين الحاكم والسكان، وهو ما جعلهم في مستويات مختلفة حسب دورهم في المجتمع وعلاقتهم بالسلطة، لذلك شكلوا مجموعات متلاحمة أي أنهم شكلوا تنظيم فيه مختلف المستويات الاجتماعية أقل إنفتاحا على المجتمع، حيث إحتكرت فيه بعض العائلات الوظائف من أجل الإرتقاء في السلم الاجتماعي واحتكارهم هذا للوظائف والمعرفة مدعوم من طرف الفئة الحاكمة، كما أنها كانت منغلقة على نفسها من أجل الحفاظ على امتيازاتها فأغلبية هذه الأفراد لهم أملاك عقارية ومصالح تجارية وحرفية، وهذا ما سمح لهم بتشكيل نخبة دينية ذات امتيازات واسعة⁽⁴⁾.

ويأتي دور الفقهاء في المجتمع من خلال تأطيرهم لشؤون الناس في مجال العبادات وتوليهم الوظائف الاقتصادية والإدارية، أي أنهم تولوا المناصب الرسمية أو الدينية كالخطابة والإمامة والقضاء والتدريس...إلخ.

هذا ما جعل السلطة لا تستغني عنهم لأنهم في مختلف المجالات الحكم والإدارة والرأي ويضمنون الولاء للأمة لأنهم مآدبون ووعاظ ومرشدون ومتقنون وقضاة ومستشارون

⁽¹⁾-عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700م-1830م، مقارنة اجتماعية، اقتصادية، الجزائر، 2012، ص88.

⁽²⁾-ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، 1800م-1830م، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص45.

⁽³⁾-على المحافضة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1978، ص13.

⁽⁴⁾-Raymond : op.cit, p80 .

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

في قرارات الأمة والحرب وهم الذين يردون عن الإستفسارات الشخصية، لذا فقد تجاذبتهم الأمة والسلطة لذلك نجد من كرس ولاءه للسلطة ومنهم من كرسها للعلم⁽¹⁾.
وقد كانوا يحضون بالعلوم الشرعية والفقهية والمتصوفة في آن واحد، حيث نجد أن عدد منهم كان ينتسب إلى بعض الطرق الصوفية⁽²⁾.

1-وظائف السلطة الروحية بالمدينة

لقد تولى العثمانيون المناصب العليا في السلطة سواء كانت مناصب سياسية أو عسكرية وتركوا الوظائف والقضايا ذات الصلة بالدين والثقافة لأفراد السلطة الروحية ومن أهم الوظائف التي تولها الفقهاء في المدينة نجد:

-الإفتاء: وهو على الوظائف الرسمية الدينية التي يتولها الفقيه أو العالم فهي تحتاج إلى العلم والتعمق في المسائل الدينية، كما تحتاج إلى قوة الشخصية والنزاهة والشجاعة في الرأي والثبات على الحق، وهذه الشروط واجبة لتولي هذا المنصب⁽³⁾، المفتي هو المترجم للشريعة من خلال إصداره للفتاوى والأحكام في المسائل الدينية والقانونية، لكن هذا منذ المجيء العثماني للجزائر فقبل ذلك لم يكن الإفتاء وظيفة رسمية بالجزائر لأنهم كانوا يستشيرون العلماء في المسائل الفقهية، وقد جعل العثمانيين الإفتاء في الجزائر على مذهبين المالكي مذهب أهل الجزائر والحنفي جعلوه المذهب الرسمي لأنهم أحناف⁽⁴⁾. وكل من المفتي المالكي والحنفي ضمن الهيئة المشكلة للمجلس العلمي أو المجلس الشريف رفقة القاضيين المالكي والحنفي وموظفين آخرين ومقره الجامع الكبير، ضف إلى ذلك أن المفتي يتولى وظائف أخرى كالتدريس ووكالة الأوقاف والإمامة والخطابة، وقد كان مقر المفتي المالكي الجامع الكبير الجديد وأشهر عائلة تولت الإفتاء الحنفي هي عائلة ابن العنابي⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ إبراهيم حركات: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال القرنين ونصف قبل الحماية، ط1، مكتبة دار البيضاء،

المغرب، 1985، ص ص 95-96.

⁽²⁾ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 391.

⁽³⁾ -نفسه: ص 392.

⁽⁴⁾ -حسن الضيفة: المرجع السابق، ص ص 116-117.

⁽⁵⁾ -أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 393.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

-القضاء: وظيفة سياسية ودينية تأتي بعد الفتوى، فقد كان في كل مدينة واحدة قاضيين واحد للمذهب الحنفي والآخر للمذهب المالكي يشرف كلا منهما على مجموعة من القضايا في أنحاء الإقليم، لكن قضاة المالكية قد كانوا خاضعين للقضاة الحنفية في الجزائر العثمانية، بحيث أن القاضي الحنفي هو الذي يحدد الغرامات والعقوبات أثناء المحاكمات، وبهذا يصبح القاضي المالكي مجرد موظف عادي مقارنة بالقاضي الحنفي⁽¹⁾.

أما في الريف وفي المناطق البعيدة فقد كانت تخضع في نظامها القضائي إلى شيوخها أو إلى مرابطيها أو إلى الجماعة⁽²⁾، وقد كان القاضيان ينظران في مختلف القضايا التي تعرض عليهما يوميا وكان في البداية الفصل في القضايا حسب ما تقتضيه الشريعة وبإمكانه إصدار الأحكام حتى بدون حضور المتخاصمين ثم اتسعت مهامه من مجال إصدار الأحكام والفصل في المخالفات إلى النظر في قضايا الأحوال الشخصية (زواج طلاق، الميراث) والإشراف على الأوقاف وعلى المعاملات التجارية من خلال تسجيل عقود البيع والشراء والقروض، وكذلك الإشراف على تعيين وعزل مشايخ الحرف والسهر على شؤون اليتامى والأرامل والقصر⁽³⁾.

وقد كان يساعده في أداء مهامه مجموعة من الموظفين مثل العدول أو الشهود حيث كان لكلا القاضيين 12 عدلا بمحكته يعملون على تحرير العقود. وبالإضافة إلى قضاء أهل البلد وجد قضاء خاص بأهل الذمة والنصارى مثل الأجانب والتجار والقناصل ورجال البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية والأسرى، وهم لا يخضعون في أحكامهم لقوانين البلاد إلا إذا حدثت مخالفات بينهم وبين المسلمين وهو ما سمح للقناصل بالتدخل في شؤون البلاد وتأكيد امتيازاتهم⁽⁴⁾.

ولقد كان العلماء يتنافسون على منصب القضاء لأنه كان وسيلة للجاه والنفوذ فمنهم من دفع المال للحصول على هذه الوظيفة بهدف كسب الثروة وظاهرة شراء المناصب كانت

(1)-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص294.

(2)-ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، م.و.ك، 1984، ص137.

(3)-عائشة غطاس: المرجع السابق، ص76.

(4)-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص23.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

شائعة في الجزائر العثمانية وخاصة القضاة المرسلين من إسطنبول، وهذا سبب عدم توريث المنصب للقضاة عكس الوظائف الأخرى، وقد كان بعض هؤلاء القضاة يستعمل المنصب للتعدي على الأملاك والأوقاف وأموال التتامي وحتى أن بعضهم تقلد هذا المنصب وهو جاهل لأحكامه ومنهم من كان يأخذ الرشاوي بسبب عدم تقاضيه أجور محددة في عملهم⁽¹⁾.

-**الخطابة:** هي الوظيفة الثالثة في الأهمية يستلزم في هذه الوظيفة شروط كالفصاحة وجودة الصوت وسعة الاطلاع والجرأة الأدبية، إلا أنه في الجزائر العثمانية، كانوا يكتفون بتولي المنصب فالبعض منهم تولي منصب الخطابة وهو جاهل به. ولقد كانت الخطابة لذلك محل تنافس بين العلماء مثلها مثل الإفتاء والقضاء، وكان السكان هم الذين يرشحون الخطيب لدى الباشا عندما يستحسنون صوته وفصاحته وعلمه وأخلاقه، ولكن هذه الفصاحة والجرأة وصلة التي كانت تربط الخطيب بالناس قد كانت تثير مخاوف الحكام الذين يعملون على مراقبتهم أو عزلهم قصد انقضاء شهرهم، وكان الخطيب يؤدي صلاة الجمعة والعيدين، وأحيانا إماما الصلوات الخمسة وهناك من اشتغل إمام في مسجد وخطيب في مسجد آخر⁽²⁾.

-**الإمامة:** الإمام هو الذي يقوم بأداء الصلوات في المسجد وعند غيابه ينوب عليه العلماء، كما يشرف على المكان الذي هو فيه رفقة المفتي، وفي المساجد الكبرى تتوزع المهام والصلاحيات يصبح دوره أداء الصلاة بالناس، أما بالنسبة للمساجد الصغيرة فهو يقوم بجمع المهام والوظائف الدينية وبعد الصلاة غالبا ما يقوم بتحفيظ وتدریس العلوم الدينية وتفسير القرآن الكريم⁽³⁾.

-**الترجمان:** استعان به الداي لتسهيل الاتصالات بينه وبين الأهالي، لأن لغة التعامل الإداري هي التركية ويشترط فيه أن يجيد القراءة بالتركية والعربية فهو يقوم بترجمة

(1)- عائشة غطاس: القضاة الأحناف بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع17، تونس، ص374.

(2)- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 394-396.

(3)- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيلة أمين فارس منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968، ص480.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

الأوامر التي يصدرها الباشا ورسائل التي تصله من المغرب وتونس لأنها مكتوبة باللغة العربية كما أنه يضع خاتم الداوي على الوثائق والرسائل⁽¹⁾.

-المدرس: وظيفة من الوظائف العامة للعلماء وهذه الوظيفة كانت تابعة لوظائف فالمفتي والخطيب يتوليان التدريس، ولكن العكس غير صحيح ذلك أن أكثر المدرسين لم يكونوا مفتين ولا خطباء، وإنما كانوا يلقون دروسهم ويعودون إلى منازلهم، ولاشك أن تنافس العلماء على هذه الوظيفة كان أقل من تنافسهم على الوظائف الأخرى.

والملاحظ أنه كان هناك صنفين من المدرسين: معلمو المدن ومعلمو الريف، وقد كان معلمو المدن الكبرى يعين من طرف السلطة الحاكمة أو الباشا أو من خلفائه في الإقليم وكانوا يدرسون في المدارس أو في المساجد وعلى الرغم من أن لا دخل لهم بسياسة إلا أن السلطة تتردد على طردهم من المدارس خوفا من ردة فعلهم.

ولقد كان لكلا الصنفين درجات فقد كان يطلق على المدرس إسم المؤدب إذا درس الأطفال الصغار، أما إذا درس الفتيان فيطلق عليه اسم معلم أو مدرس، في حين إذا درس الشبان فهو أستاذ أو شيخ. أما في الريف فقد كان المدرس يختار من قبل شيخ القبيلة أو الجماعة، وبالإضافة إلى المهمات التي نكرناها كان العلماء يقومون بأعمال أخرى كسفارة أو المستشارين أو مبعوثين ومفاوضين، أو كمؤذن رغم لأنهم لا يدخلون ضمن تعبير العلماء إلا أنهم لهم صلة قوة بهم ويعيشون في ظلهم⁽²⁾.

(1)-أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص36.

(2)-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 396-397.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

2-وظائف السلطة الروحية بالريف (المرابطون والمتصوفة)

المرابطون كلمة عرفت تداول بكثرة بعد الحركة الدينية التي عرفنها في القرن 16م والتي تعني حسب "دوتي" أنهم رجال الدين المقاتلين⁽¹⁾، والمرابط هو الشخص الذي ارتبط بالله ويطلق هذا الاسم على كل من هو ذو نسب شريف أو على ولي معروف بالبلاد وهو حر من أي ارتباط رسمي. منهم الأغنياء الذي قد يفوق نفوذهم الآغاوات والقياد ومنهم الفقراء الذين يعيشون في الأكواخ من صدقات المحسنين ومن القبائل المرابطية نذكر: أولا سيدي الشيخ، أولاد مقران وأولاد عبيد⁽²⁾.

فحسب "حمدان خوجة" أن سلطة المرابطين الخارقة قد أثرت في أفكار القبائل بحيث أصبحوا يتصورون أن الله هو بذاته من يسوق هؤلاء ويرشدهم فأصبحوا يقدمون قرايين للمرابط من أجل تحقيق أمنياته معتقدين أن سعادتهم تتوقف على سخط أو بركة المرابط في حين يرى البعض أنها بقايا المعتقدات السابقة لدى الأجداد⁽³⁾.

لكن سرعان ما فقدت فئة المرابطين مكانتهم لتحل محلها الطرق الصوفية التي استطاعت دمج القبائل في صفوفها، وهذا ما عليه المرابطون محدودى الانتشار لأنه كانوا يكتفون بالتمتع بالموارد التي اكتسبها أسلافهم وتركوا الارشاد والدعوة إلى الله⁽⁴⁾ وقد كان المتصوف أيضا يعتمد على النسب الشريف والولاية والصلاح، وعليه أصبح المتصوف يدعي ولي أو المرابط ويعطي البركة، وقد كانوا يركزون على عدة مبادئ وأسس نذكر منها: الذكر، الوصية⁽⁵⁾، الطريقة، الخلوة، الشيخ....⁽⁶⁾

وأهم ما ميز المتصوفة هي الخلوة والكرامة ثم المشيخة، فكل مرابط صوفي مرابط صوفي

(1)-إدموند دوتي: الصلحاء، تر: محمد ناجي بن عمر ، افريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص52.

(2)-سعيدوني نصر الدين: موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، المجلة التاريخية المغاربية، ع5، 1980م، ص12.

(3)-إدموند دوتي: المرجع السابق، ص27.

(4)-العيد مسعود: المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني، سرتا، ع10، 1988م، قسنطينة، الجزائر، ص ص 8-9.

(5)-الوصية: أحد المبادئ الأساسية لطريقة الصوفية وتكون مكتوبة فيها تعاليم الطريقة.

(6)-منى سي فوضيل: الزوايا والأولياء الصالحون في الجزائر دراسة سوسولوجية وصفية لسيدي نايل، دكتورا علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، 2، 2011، ص110.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

يدخل في الخلوة أياما وتكون الخلوة في البراري والبوادي والأماكن المنعزلة، وقد تكون العزلة في خيمة أو في مغارة في الجبل، وبعد هذا يتخذ الزواية لاستقبال المريدين ويتلقى فيها الأموال والجبايات ويدرس فيها خطه، كي يقنع الناس بدعوته عليه أن يثبت أو أن يشيع أصحابه أنه من صاحب كرامات وأحوال، وأنه يطلع على ما لم يطلع عليه الآخرون من أسرار والبواطن، وكان ذلك من مميزاتهم معظمهم كان يدعي رؤية الأنبياء والرسول والصحابة والملائكة، كما كنت الإستخارة هي وسيلة الرؤية الصوفية ومما لاشك فيه أنه ليس كل المرابطين على هذه الشكالة فبعضهم كانوا متصوفين حقيقيين متفرغين للعلم والعبادة لا يتخذون الزواية والطريقة لإعلان مشيختهم ولا لإكتسابهم الجاه والوظيف من السلطان⁽¹⁾. فأغلب هؤلاء عاش في الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة يحافظون على عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مفضلين العزلة والعبادة، كما كانوا أيضا يعلمون المريدين والعامّة للمبادئ الدين⁽²⁾.

(1) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 489-490.

(2) - نفسه: ص 262.

المبحث الثالث: مراكز السلطة الروحية

1- الكتايب: الكتايب أو الكتاب هو تصغير لكلمة مسجد⁽¹⁾، كانت بمثابة مرحلة التعليم الأولى أو المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر يسمى في الريف الشريعة لأنه تدرس به الشريعة أما في المدينة فيسمى "لمسيد"⁽²⁾، وحسب "يحي بوعزيز" فإنها أسست لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نقاوتها⁽³⁾.

وكانت هذه المؤسسة التعليمية منتشرة في كامل البلاد، الأمر الذي أدهش الفرنسيين عند احتلالهم الجزائر، حيث ذكر "إيفون توران" أن "دوماس Doumas" ذكر: "بأن التعليم الابتدائي في الجزائر كان منتشرا أكثر ما يتصوره الإنسان عموما فاتصالاتنا بالاهالي في الأقاليم الثلاثة أظهرت أن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة". كما علقته الباحثة إيفون ثوران على (nrouneturin) صاحبة كتاب "مجابهاث ثقافية" بقولها: "إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الابتدائية "الكتاب" وكانوا يستطيعون إستظهار الأدعية وبعض آيات قراءة القرآن"⁽⁴⁾.

وكانت وظيفة هذه الكتايب أنها خصصت لنشر الدين والتعليم الابتدائي وهي أول محل يتلقى فيه الأطفال الحروف الهجائية عن طريق الألواح المصلصلة⁽⁵⁾، وتكون هذه الكتايب في الغالب في الأضرحة للأولياء والدكاكين وفي المساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمسة⁽⁶⁾.

وكان لكل تلميذ لوحة خاصة به، حتى تسهل عليه كتابة القرآن الكريم فيها ومحو الحروف منها، وكانت تتم قراءة الآيات القرآنية والصور بصوت مرتفع، وبعد أن يحفظ

(1) - رابح بونار: الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر، الأصالة، ج8، 1972م، ص84.

(2) - مسعود العيد: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، سرتا، ع3، 1980م، ص ص 61-62.

(3) - يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م، الثقافة، ع63، 1981م، ص15.

(4) - إيفون توران: المجابهاث الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880م، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصة، الجزائر، 2005، ص135.

(5) - الصلصال: هو الطين اليابس الذي لم تصبه النار أي لم يصبح خزفا.

(6) - محمد ابن ميمون الجزائري محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م، ص58.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

التلميذ ما في اللوحة يقوم بترتيلها على مسامع شيخه المدرس له والجالس أمامه على حصيرة⁽¹⁾، وأقصى عقوبة للتلميذ في هذه المرحلة هي الفلقة وأخفها التأنيب بالكلام⁽²⁾.

وقد خصص الكتاب لحفظ القرآن الكريم، وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب وقد كان المتمدرسين في الكتاب الواحد ما بين 15 و 20 صبيا، يقضون في الكتاب ثلاثة أو أربعة أعوام والذين يرغبون في مواصلة الدراسة يبقوا سنين أخرى لحفظ القرآن عن ظهر قلب أو يلتحقون بالمدرسة أن يتلقون تدريسهم في الفقه والتوحيد والنحو على يد العلماء من أئمة ومفتين وقضاة⁽³⁾، هذا في الحواضر أما في الريف فيلتحقون غالبا بالزوايا لإكمال دراستهم الثانوية⁽⁴⁾.

2- المساجد: كانت المساجد بمثابة المهد الأول لتعليم العهود الأولى للإسلام كانت إلى جانب وظيفتها الدينية تقوم بوظيفة التعليم واستمرت على هذا المنوال عبر مختلف الفترات الإسلامية، رغم ظهور المدارس في القرن 5هـ، وبالرغم من الانتشار الواسع لهذه الأخيرة لم تستطع الإنقاص من قيمة المساجد، وإنما تعايشت معها لنشر رسالة التربية والتعليم في العالم الإسلامي⁽⁵⁾.

كانت المساجد أماكن لأداء الصلاة وتحفيظ القرآن الكريم والتعليم، ومعالجة مشاكل الناس⁽⁶⁾، كما كانت مركز الحلقات الدروس اليومية والفنون والعلوم التي كانت تدرس في ذلك العهد في المدن والقرى⁽⁷⁾، إضافة إلى التحريض على الجهاد ضد العدو حيث عملت على صهر التناقضات الداخلية في تيار الجهاد فلا فرق بين تركي وعربي⁽⁸⁾.

(1) - عبد القادر حلمي: مدينة الجزائر ونشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية، الجزائر، 1972م، ص 272.

(2) - سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 1، ص 340.

(3) - محمد سي يوسف: نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، الحياة الفكرية في الولايات العربية مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م، ج 1، ص 193.

(4) - العيد مسعود: حركة التعليم، المرجع السابق، ع 3، ص 62.

(5) - نفسه، ص 64.

(6) - يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات، المرجع السابق، ع 63، ص 12.

(7) - ابن ميمون، المصدر السابق، ص 59.

(8) - بسام العسلي: الجزائر والحملات الصليبية 1571-1791م، ط 3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1986م، ص 184.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

وبما أن المساجد كانت بمثابة الرابطة بين الأهالي في الريف أو المدينة كثرت العناية بها فلا نكاد نجد قرية أو حيا في المدينة من دون مسجد ومن بين هذه المساجد ما كان يسمى "جامع الخطبة" لأنها كانت تؤدي فيها صلاة الجمعة والعيدين دون غيرها من المساجد التي غالبا ما تنسب إلى الأولياء الصالحين⁽¹⁾.

ولقد كان بناء المساجد نتيجة للمبادرات الفردية لأن الدولة لم تكن تولي الاهتمام لبناء المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية، وما كان يقوم به الحاكم من تشييد المساجد وحبس الأوقاف لها من مالهم وأملاكهم الخاصة كان إلا تعبيراً عن واجبهم الديني⁽²⁾ خاصة بما كثرت الغنائم البحرية التي أدت إلى كثرة المساجد في الجزائر⁽³⁾.

إشتهرت الجزائر خلال العهد العثماني بكثرة المساجد التعليمية، حيث نجد لكل مدينة بها جامعها الأعظم الذي يمثل معهدا لتعليم⁽⁴⁾، كالجامع العظيم في قسنطينة والجامع الأعظم في مدينة الجزائر، ضف إلى ذلك جامع بجاية وجامع تلمسان، جامع شعبان باشا الجامع الجديد كان مقر للمفتي المالكي والمجلس العلمي ومجلس للمناضرات بين العلماء كسب ود السلطة عند البعض⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من وفرة المساجد إلا أن بعضها كان في حالة متدهورة وهناك من لم تكن له أوقاف لصيانته ومثال ذلك: أحمد بن قاسم ساسي البونوي يشكي من الخراب في مساجد بجاية إلى الداوي محمد بكداش قائلا: "خربت المساجد وقل فيها الساجد"⁽⁶⁾، ولكن في نهاية القرن 18 برزت محاولة البعض لنهوض بأمور المساجد، حيث عملوا على صيانتها والحفاظ على أوقافها التي تعود مردودها لصالح العلم⁽⁷⁾.

(1) -سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص245.

(2) -نفسه، ص247.

(3) -مؤنس حسين: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، دار العصر الحديث

للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992م، مج2، ج3، ص351.

(4) -العيد مسعود: حركة التعليم، المرجع السابق، ج3، ص64.

(5) -سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص258.

(6) -ابن ميمون: المصدر السابق، ص ص 115-116.

(7) -سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص251.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

3- الزوايا : لعبت الزوايا دور ثقافي وتعليمي خاصة في الأرياف، نظرا لغياب المؤسسات الثقافية الأخرى، وقد كانت حلقة لتعليم، علوم الدين والفقهاء ومقر للعبادة ودراسة وتعليم المبادئ الأولى للقراءة والكتابة كما كانت مركز لإستقبال غرباء والزوار إضافة الى هذه التربية الروحية، ربّتهم وعلمتهم التربية العسكرية وغرست فيهم روح الجهاد كونها كانت مبنية على نشر الدعوة الصوفية و التحضير للجهاد فهو بديل متطور للرباطات وبالتالي كانت الزوايا مركز التعليم و الثقافة⁽¹⁾.

وقد استطاعت الزوايا كسب ثقة الناس كون شيوخها ييسرون التعليم للجميع، ضف ذلك دورها على مستوى العلاقات الاجتماعية من خلال التوسط في القضايا القضائية بين السكان⁽²⁾ والزوايا، في الجزائر العثمانية كانت نوعان :

-زوايا تخضع في تسيير شؤونها لشيخ المؤسس الزوايا أو لخلعه، غير خلواتية أي أن شيوخها لا يدعون معرفة الغيب، و كان لهم ورد خاص بهم وهذه الزوايا في الغالب تكون كتاتيب لتعليم القرآن الكريم.

-زوايا تخضع إلى ولي أو طريقة صوفية يدير شؤونها مجلس متكون من طلبة فيهم نوع من خلواتية فشييوخها يدعون معرفة الاسرار الغيبية ولهم مريدون وود خاص بهم يقرأ فيه أتباعها كزواوية القادرية والزواوية التجانية⁽³⁾.

وكانت الزوايا تضم العديد من الطلبة فقد تتلمذ غالبية علماء الجزائر العثمانية في الزوايا مثل: أبوراس الناصري، الأمير عبد القادر، محمد بن علي السنوسي، بحيث انها اصبحت مركز لتخرج القضاة و العلماء أنا ذاك.

واعتمدت هذه الزوايا في الإنفاق على الطلبة المتمدرسين من الأوقاف والهبات وأموال الزكاة والهدايا، التي كان يقدمها أفراد القبيلة، بالإضافة إلى تبرعات المسافرين والزوار الذين يقصدون المكان لتبرك بالضريح⁽⁴⁾.

⁽¹⁾-عبد الحميد ميزان: المؤسسات الثقافية قبل الإستعمار، مجلة التاريخ، ع22، 1986م، ص18.

⁽²⁾-يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات...، المرجع السابق، ص16.

⁽³⁾-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 265-266.

⁽⁴⁾-مسعود العيد: حركة التعليم...، المرجع السابق، ع3، ص63.

الفصل الأول..... السلطة الروحية ووظائفها، مميزاتها

4-المدارس: لعبت المدارس في المدن نفس الدور الذي آلت اليه الزوايا في الريف، فهي التي كانت تزود الدولة بما تحتاجه من موظفين، فقد كان يتخرج منها مدرسين وعلماء وفقهاء ومفتون، لأن هذه المؤسسة جمعت بين التعليم الثانوي والتعليم العالي وهذا راجع إلى تعلمها العلوم اللغوية والعلوم الشرعية وبعض العلوم العقلية، وغالبا ما كنت تبني المدراس بجوار المساجد لتتصل بها و يتلقى الدارسين هناك دروس الأدب والفقهاء المالكي، و الحنفي، و التوحيد والحساب وطرق التداوي⁽¹⁾.

وقد كثرت المدارس في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث أصبح لا يخلو أي حي من أحياء المدن أو قرية من القرى من مدرسة ابتدائية، هذا ما جعل من يزورون الجزائر ينبهرون من كثرة المدارس بها، وإنتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان⁽²⁾، في هذا يقول وليام شارل : " فإن مدينة الجزائر تملك كثير من المدارس العادية التي يتردد عليها الأطفال ابتداءا من سن الخامسة والسادسة حيث يتعلمون القراءة والكتابة "⁽³⁾.

⁽¹⁾-محمد سي يوسف: نظام التعليم، المرجع السابق، ص193.

⁽²⁾-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص274.

⁽³⁾-وليام شارل: مذكرات شارل قنصل أمريكا في الجزائر، 1816م-1824م، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص82.

الفصل الثاني

مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر

العثمانية

-المبحث الأول: أدوار السلطة الروحية

-المبحث الثاني: مكانة السلطة الروحية في المجتمع الجزائري

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

المبحث الأول: أدوار السلطة الروحية

تميزت السلطة الروحية بموقعها الهام خاصة في الريف الجزائري، لأنها كانت بمثابة أجهزة استشارية وتنفيذية ووصاية على السكان في غياب السلطة⁽¹⁾. وأصبحت مراكزهم أماكن لتلقي العلوم الدينية واللغوية ومدارس تخريج العلماء، ومكان لعابري السبيل، موفرة الحماية والأمان للمضطهدين، كما كانت مركز لترسيخ المبادئ الإسلامية والتربية الروحية والإرشاد الديني والسلوكي والأخلاقي في المجتمع عن طريق المواعظ والإرشاد والحفاظ على القيم الإنسانية⁽²⁾.

1- الدور التعليمي والديني

كانت تعمل السلطة الروحية عن طريق مؤسساتها الدينية على نشر الوعي الديني وتعليم أبناء السكان لأن السلطة لم تهتم بالتعليم والتوجيه، وهذا راجع كون سياستها مع الأهالي كانت سلبية تركز على الجباية والضرائب، لهذا كانت المؤسسات تعمل على ملئ هذا الفراغ السياسي والثقافي في المجتمع الذي عاش منعزلا عن الحكومة التركية⁽³⁾. كما نجد الكثير من العلماء من وهب ماله للفقراء والإخوان، وللعلماء أيضا نجد علماء انفقوا مالهم لخدمة العلم مثل: الولي سيدي محمد بن عبد الجبار بن ميمون الفجيجي الذي كانت له زاوية ثم قام ببناء مسجد وبيت للفقراء والمريدين. وبعض العلماء عمل على نشر الإسلام في أوساط الأسرى المسيحيين وقد نجحوا في هذا إلى حد بعيد والدليل ذلك عدد الكبير للأعلاج⁽⁴⁾.

ويمكن القول أنه بفضل المؤسسات التعليمية التابعة للسلطة الروحية المتمثلة في المساجد والمدارس والزوايا سواء كان في المدينة أو في الريف انتشرت المعارف والثقافة الدينية

(1)- عبد الله عبد الرزاق: الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004، ص ص 229-230.

(2)- الفيلاي مختار الطاهر: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الجغرافيكس، الجزائر، 1976م، ص30.

(3)- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار البصائر، الجزائر، ج3، 2007، ص223.

(4)- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص464.

الفصل الثاني..... مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

مما قلل من إنتشار الأمية كما ساهمت هذه الأخيرة في تخرج عدد من الفقهاء والكتاب الذين تولوا الخطط الدينية والعلمية⁽¹⁾.

فالمساجد كانت تقوم بوظيفة التعليم وتحفيظ القرآن وعلاوة عن هذا كانت أيضا أماكن للصلاة ولمعالجة قضايا الناس، وكذلك تعليم الدين وعلوم اللغة ومبادئ القرآن الكريم والكتابة وبعض علوم الحساب وطرق التدوي (الطب)⁽²⁾.

أما بالنسبة للمدارس فكانت تزود الدولة بالقضاة والمفاتي وغيرهم من الموظفين الرسميين وأهم ما برز أن أغلب علماء الجزائر كانوا خريجي الزوايا مثل: سعيد قدورة أبوراس الناصري والأمير عبد القادر، بحيث أنهم كانوا يدرسون القرآن والحديث والنحو اللغة الفقه، التوحيد، الفلك، الحساب⁽³⁾.

إضافة إلى الزوايا المرابطين التي بقيت بعيدة عن تأثير الفقهاء وفتاويهم فهي كانت تعمل على نشر المعارف وغرس تعليم الدين وتعميق الحس الديني في المجتمع الريفي، كما كانت بمثابة الملجأ المعنوي والروحي لسكان، وقد كانت هذه الزوايا تفتح أبوابها للطلبة الذين يبحثون عن العلم والمعرفة⁽⁴⁾.

وبهذا فإن المؤسسات الروحية من مساجد والزوايا ومدارس ساهمت في الحد من ظاهرة الأمية من خلال نشرها للمعارف والعلوم والثقافة الدينية. وهذا ما أشاد به المحتل الفرنسي عند دخوله الجزائر، حيث ذكروا أنه لا يكاد يخلو حي أو قرية من مدرسة ابتدائية⁽⁵⁾.

أما زوايا الطرق الصوفية كرحمانية والقادرية قد ربطوا بين التربية الروحية والتعليمية، كما أعطوا أهمية كبير لنشر العلم وتدريس العلوم إضافة إلى تعاليم الطريقة⁽⁶⁾. كما عملت على ربط المعارف بالتربية الروحية هذا ما يجعل الطالب يتحلى بالصبر ويقهر الغرائزه ويحترم الناس ويضحى في سبيل الجماعة.

⁽¹⁾-نصر الدين سعيدوني: ولايات المغرب العثمانية الجزائر، تونس، طرابلس، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص ص 144-145.

⁽²⁾-يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات...، المرجع السابق، ع36، ص12.

⁽³⁾-العبد مسعود: حركة التعليم...، المرجع السابق، ع3، ص ص 64-65.

⁽⁴⁾-نفسه: ص61.

⁽⁵⁾-سعيدوني: ولايات المغرب العثمانية، المرجع السابق، ص144.

⁽⁶⁾- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص273.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

كما أنها تربيهم على إحترام الوقت والمواعيد وأداء الفرائض وتهذب سلوكياتهم⁽¹⁾.

2- الدور الاصلاحى والاجتماعى

الدور الاصلاحى حفظت السلطة الروحية كل من الأمن والسلم فى المناطق البعيدة عن سلطة البايك معتمدا فى هذا على نفوذ المرابطين وسلطتهم، فقد قامت بفك الخلافات بين الناس وفض النزاعات بين القبائل المتناحرة أو داخل القبيلة الواحدة. وإن المرابطين كانوا يحملون معهم القرآن الكريم للدعوة إلى الصلح والسلم، وهذا ما يجعل الجميع يرضخ لهم، وقد تمتعوا بالوقار والنفوذ واحترام، وهذا راجع إلى أنهم كانوا يمثلون الصلح والعدل والتسامح وسط المجتمع.

كان المرابطون يحضون بطاعة والتصريف فى سكان الريف، لأنهم لا يعترفون بأى سلطة إلا سلطة المرابطين، كما كانوا يحرمون إراقة الدماء، ويتدخلون لعقد السلم بين القبائل المتناحرة والسعي لعقد الصلح بينهم. فحسب حمدان خوجة "أن وجود المرابطين نعمة على المجتمع فيضل نفوذهم يسكتون أسلحة الخصوم ويمنعون إراقة الدماء"⁽²⁾. كما حفظوا السلم لقول حمدان خوجة: "أما السلم فإنه يتم دائما بتدخل المرابطين"⁽³⁾. وفى حال وقوع صراعات بين القبائل يلتزم المرابطون بالحياد، بعد ما كانوا قد قاموا بمفاوضات ويحررون اتفاقيات صلح تحفظ للطرفين حقوقهم.

هذا يعنى أن المرابط تمكن من اقناع الناس بقوة الخارقة وحاجتهم للصلح والسلم فى التوسط لتحقيق الأمن أو الهدنة المؤقتة بين القبائل المتناحرة، إلا أنه لم ينجح دائما فى تحقيق السلم لعدم تمكن من تغيير طبائع القبائل التى تميل إلى العنف، وعليه يمكن القول أن السلطة الروحية حققت نوع من الاستقرار بفضها الخلافات والخصومات الداخلية بين أفراد المجتمع والقبائل⁽⁴⁾.

(1)- عبد الحميد ميزان: المؤسسات...، المرجع السابق، ع22، ص19.

(2)- علي خنوف: المرجع السابق، ص47.

(3)- حمدان خوجة: المصدر السابق، ص ص 56-57.

(4)- دوتي: المرجع السابق، ص134.

الفصل الثاني..... مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

كما أن هذه الزوايا هي الطرق التي كانت عبارة عن مخازن للكتب والمخططات في مختلف العلوم، وهذا لإهتمام شيوخها وطلابها بالتعليم والنسخ ونقل الكتب وجمعها وشراؤها، رغم أن الكثير منها قد ضاع بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر⁽¹⁾.

الدور الاجتماعي جمعت السلطة الروحية بين مختلف الشرائح الاجتماعية بغض النظر على إختلاف إنتمائهم العرقي أو الجهوي، أو مكان إقامتهم أو مهنتهم، وهذا عن طريق الزوايا حيث أنها جمعت بين الغني والفقير والأمي... إلخ⁽²⁾.

كما أن السلطة الروحية عملت على توفير بعض الحاجيات ومن خلال مؤسساتها والأفراد القائمين عليها سواء في المدن أو في الأرياف، وأبرز هذه المراكز الزوايا لأنها لعبت دور الملجأ للفقراء واليتامى والأرامل ومأوى للزائرين كونها مركز للصدقات والهبات والزكاة، التي كانت تأتيهم من قبل الأغنياء، ضف إلى ذلك أن هذه الزوايا كانت مأوى للفقراء مثل: زاوية سيدي أبي عتيقة التي كانت تستقبل الفقراء والمرضى والعجزة⁽³⁾.

كما نجد أن بعض مراكز السلطة الروحية تخصص جزءا من مداخيل أوقافها لخدمة المجتمع، وهذا عن طريق مساعدات عينية للفقراء والمحتاجين في شكل صدقات في المواسم ومثال ذلك: تقديم وكيل أوقاف سيدي عبد الرحمان الثعالبي إعانات للفقراء وزوار عابري السبيل، ويوجد بعض المؤسسات الدينية التي يقوم بإطعام الفقراء في المواسم كشهر رمضان والمولد النبوي الشريف⁽⁴⁾.

إضافة إلى الخدمات التي كانت تقدمها السلطة الروحية للمجتمع، كانت تعمل كمؤسسات علاجية يلجأ إليها الناس للعلاج، حيث كان المرابطين والطلبة يمارسون الطب بطرق

⁽¹⁾ يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001م، ج1، ص223.

⁽²⁾ يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات، المرجع السابق، ص18.

⁽³⁾ عائشة غطاس وآخرون: الدولة الجزائرية ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م، ص273.

⁽⁴⁾ ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م، ص247.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

تقليدية تعلموها بالتجربة أو توارثوها، ضف إلى ذلك أنهم في بعض الأحيان كانوا يستعملون السحر والشعوذة في العلاج⁽¹⁾.

لهذا يمكن القول أن السلطة الروحية تمكن من إستمالة مختلف الشرائح الاجتماعية وخلقت بينهم روح المحبة والتعارف والتعاون بين الأهالي، حيث تبادلوا الأخبار وربطتهم علاقات مصاهرة بين العائلات.

3- الدور الاقتصادي

أسهمت السلطة الروحية في الحياة الاقتصادية عن طريق أنشطتها كالتجارة والفلاحة، وعن طريق حمايتها للقوافل التجارية ومراقبة الأسواق.

ومن الأعمال التي قامت بها السلطة الروحية في الجانب الاقتصادي حماية القوافل التجارية وتوفير الأمن لها، وهذا ما جعل التجار في مأمن على تجارتهم خاصة، وكذلك كان يقدم لهم كل وسائل الراحة في زواياهم، حيث عملوا على إرشاد التجار والمسافرين وهناك من جعل زواياهم مستودعا للسلع لكونها أماكن آمنة ومحترمة⁽²⁾.

كما قدمت السلطة الروحية خدمات جليلة في الجانب الاقتصادي وهو قيام الطرق الصوفية بتوزيع الأراضي حول الزوايا لزراعتها من طرف الأهالي نتج عليه إزدهار اقتصادي الذي أدى إلى الإستقرار في هذه المناطق⁽³⁾.

وهناك من إهتم بالفلاحة وتربية المواشي حفر الآبار خاصة بالمناطق الصحراوية⁽⁴⁾ واستصلاح الأراضي، مثل ما عمل مرابط العائلة⁽⁵⁾ "سيدي محمد" الذي قام بإستصلاح أراضي غرب الخنقة وغرس بها النخيل والأشجار⁽⁶⁾.

(1)-القشاعي فلة موساوي: الصحة والسكان في الجزائر من العهد العثماني إلى أوائل الاحتلال الفرنسي 1515-

1870م، دكتورا دولة، جامعة الجزائر، 2004م، ص182.

(2)-إدموند دوتي: المرجع السابق، ص131.

(3)-صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط3، دار هومه، الجزائر، 2011م، ص365.

(4)-عبد الرزاق: الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004م، ص229.

(5)-إدموند دوتي: المرجع السابق، ص132.

(6)- جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بابلج الشرق في القرن 10هـ-16م إلى القرن 13هـ-19م، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001م، ص ص 95-97.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

4- الدور الأمني أو السياسي

الدور الأمني حيث عملت السلطة الروحية على توفير الأمن والحماية للسكان وهذا عن طريق الزوايا في الريف لأنها بمثابة مركزها، وأصبحت أداة ضرورية في المجتمع لضمان السلم والأمن الاجتماعي في المناطق البعيدة عن السلطة من اللصوص وقطاع الطرق على القوافل والمسافرين⁽¹⁾.

وتوفير الأمن من مهام السلطة الروحية مثلما هو الحال بمنطقة البابور، التي كان بها العديد من الأسر المرابطة التي تولت هذه المهمة واعتمدت عليهم حتى السلطة التركية وهذه المهمة اختصت بها السلطة الروحية في كامل الأرياف في الجزائر العثمانية لأن شيوخ هذه المناطق هو من كان يسهر على أمن الطرقات، وكذلك توفير الأمن للحامية التركية إذ لم تكن بإمكانها المرور نحو بجاية برا إلا بعد إصطحابها مرابط⁽²⁾. والجدير بالذكر أن دور السلطة الروحية اتسع نظرا لمراكز الزوايا والأضرحة التي أصبحت قبلة للفارين طلبا للحماية في وقت تصاعد فيه العنف بين القبائل وفي القبيلة الواحد وهذا ما وسع نفوذها بين الأهالي⁽³⁾.

كما وفرة الحماية للأهالي حيث أن العلماء كانوا يتقدمون الأهالي لما ترسل إليهم محلة الباي جباية الضرائب، وخاصة عندما يرفضون تأدية المغارم، فيتقدمهم معلين الولاء والطاعة ورفع الضريبة وطلب الأمان.

وفي منطقة القبائل ونتيجة للصراعات والإضطرابات الداخلية التي شهدتها وصراعاتها مع العثمانيين لجأت السلطة الروحية المتمثلة في الشخص المرابط أو شيخ الزاوية للإحتماء به، إضافة إلى هذا عملت السلطة الروحية على حماية المدن عند حدوث أخطار تهددها. أما في أواخر العهد العثماني فإننا نجد أن السلطة الروحية عملت على مقاومة الحكم العثماني ودافعت على السكان ضد تعسف الحكام وإتقال كاهلهم بالضرائب⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ -نللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص265.

⁽²⁾ -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص488.

⁽³⁾ -أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، المرجع السابق، ج1، ص170.

⁽⁴⁾ -أحمد ساحي: الزاوية: من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر، عهد إمارة كوكو 1512-1767م، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2015م، ص130.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

أما الدور السياسي فجاهدت السلطة الروحية في سبيل الله، حيث تقدمت صفوف الجهاد والدفاع عن الأرض، وإنظم إليها الناس بإعتبار السلطة القادرة على حمايتهم والدفاع عنهم، وقد كان العلماء والفقهاء وطلبة العلم في استعداد للتضحية والجهاد وكذلك لقدرتهم على حمل السلاح والتطوع في سبيل الله⁽¹⁾.

فالغزو الخارجي هو من دفع بالعلماء للدعوة للجهاد بل الدعوة إلى التعليم والتعلم⁽²⁾ والسبب الذي جعل المرابطين يحملون السلاح هو الجاهد في سبيل الله، هذا ما جمع الأطراف تحت لواء واحد متجاهلين الخلافات والظروف وعليه فإن دور المرابط أو شيخ الزاوية لم يكن نشر الدين فقط بل تعدي إلى الجهاد ومحاربة الأعداء في الداخل والخارج ومثال ذلك: تصدي السلطة الروحية للغزو الخارجي، واعتبرت الجهاد وسيلة رئيسية للمسلم لدفاعه عن وطنه، لهذا فقد قدمت الدعم المادي والمعنوي للسكان⁽³⁾.

كما أن الطرق الصوفية كانت وسيلة لحفظ مصالح الناس وتأطيرهم وتوجيههم للغزو باعتبارها أن الجهاد مقدس وواجب ديني، لهذا نجد بروز حركة جهادية منذ بداية الغزو الأجنبي في بداية القرن 16، حيث أسهمت في الدفاع عن الأرض وتعبئة السكان وإثارة الحماس فيهم للجهاد خاصة في الغزو الإسباني⁽⁴⁾، واستمر أطراف السلطة الروحية في الدفاع عن الأرض والجهاد حتى القرن 18 بداية الهجمات الأوروبية على الجزائر ومثال ذلك: الحملة الدنماركية على الجزائر سنة 1184هـ-1770م، حيث كان المرابطون أكثر المدافعين عنها⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص121.

⁽²⁾ عبد الرحيم عبد الرحمان: المغاربة في مصر في العصر العثماني 1517-1798م، دراسة تأثير الجاليات المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، منشورات المجلة التاريخية، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص25.

⁽³⁾ ابن تونس مخلوف ساجية: المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل ماجستير علم النفس

الاجتماعي، جامعة الجزائر، 1998م، ص47.

⁽⁴⁾ شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص25.

⁽⁵⁾ دوتي: المرجع السابق، ص84.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

وقد استمر العلماء والمرابطون في هذا الدور حتى ضد الاحتلال الفرنسي، ففي سنة 1830م تزعم الجهاد في منطقة القبائل العائلات الكبرى مثل: عائلة ابن القاضي وعائلة المقراني وعائلة أوقاسي... إلخ⁽¹⁾.

يمكن القول أن المؤسسات السلطة الروحية هي من نادت بالجهاد تحت لواء شيوخها ورؤسائها، وهو ما دفع بالعثمانيين عند دخولهم إلى الجزائر للتحالف مع السلطة الروحية من أجل الجاهد في سبيل الله، فعقد الرؤساء الروحيون مع البحارة العثمانيون صلات وأظهروا طريق الخلاص للسكان وقاموا بتحرير المدن الساحلية من الغزو الإسباني⁽²⁾.

(1) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 208-209.

(2) - نيقولاي إيفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية 1516م-1574م، ترجمة يوسف عطا الله، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988م، ص99.

المبحث الثاني: مكانة السلطة الروحية في المجتمع

حظي أفراد السلطة الروحية بمكانة مرموقة في المجتمع، لأنهم كانوا في نظر الناس هم رجال الدين الصالحين المعتزلين للعبادة والعلم، وكان رجل الدين يكفيه أن يستظهر كتاب الله كله أو جزء منه، فيحظى بإحترام الناس حتى وإن جهل ما يردده. وهكذا شكل رجال الدين والعلماء طبقة مميزة ومحترمة، ذات كرامة فقامت السلطة العثمانية بتقرب من رجال الدين لأنها كانت تخشى بأسهم نتيجة مكانتهم عند الأهالي رغم عدم إختلاطهم بهم من خلال الدروس خاصة في المدن⁽¹⁾.

وقد حظي أقطاب السلطة الروحية بالإحترام وبمكانة عالية، وكان هذا سواء في الريف أو في المدينة، ففي الأرياف سيطر المرابطون وشيوخ الطرق الصوفية على السكان، حيث أنهم حضوا بإحترام كبير خاصة من قبل طلبتهم ومريديهم، وكان يلقب الولي بلقب "سيدي" للدلالة على الإحترام الكبير، قال "دوتي" أنه في الجزائر يطلق هذا اللقب على من إسمه محمد تكريما لإسم الرسول صلى الله عليه وسلم⁽²⁾. كما أن لكلمة "سي" هي اختصار لكلمة سيدي وتخص المثقفين أو الفقهاء، فكل فقيه أو مفسر أو عقائدي يعد في نظر الناس عالما ويلقبونه "بسيدي"⁽³⁾.

1-مكانة العلماء بالمدن

شكل العلماء في المدن الهيئات المحلية خاصة خلال القرنين 16م و17م برزت عائلات محلية توارثت العلم ومارس أعضاؤها القضاء، الإفتاء، الإمامة، التدريس والوعظ... إلخ⁽⁴⁾، وهذا التوارث في المناصب نتج عليه الإحترام تلك العائلات العلمية، وأصبح الناس يفضلون تولي أفرادها لهذه المناصب حتى ولو كانوا غير جديرين أو مؤهلين. كما نلمس الإحترام والمكانة من طرف الطلبة لمشايخهم، حيث يصفونهم بعبارات التبجيل والتقدير والتعظيم والاحترام ومثال ذلك ما ذكره "الفكون" على الشيخ "الوزان" قائلا:

(1)-أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، مطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص37.

(2)-دوتي: المرجع السابق، ص59.

(3)-ابن ميمون: المصدر السابق، ص47.

(4)-خالد زيادة: الكاتب والسلطان من الفقيه إلى المثقف ط1، الدار المصرية اللسانية، القاهرة، مصر، 2013، ص ص

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

"شيخ الزمان وياقوتة العصر والأوان العالم العارف باله الرباني أبي حفص عمر الوزان"⁽¹⁾.

وأما ما ذكره محمد بن علي السنوسي عن شيخه أبوراس الناصري "ومنهم شيخنا وشيخ مشايخنا الهمام الحافظ الإمام سيدي بوراس الناصري"⁽²⁾.

وإن سكان الجزائر لم يكنوا بالإحترام لعلماء الجزائر فقط بل كانوا يحترمون جميع العلماء وإن كانوا من خارج الجزائر ومثال ذلك وصف حسن الوزان لمعاملة سكان المدينة له عند إقامته بها لمدة شهرين: "وأكرمت أكثر من قبل أميرها لأن الغريب إذا مر بالمدينة يكاد سكانها يحبسونه بالقوة طالبين بتوسل وابتهاال أن يفصل في قضاياهم ويحرر عقودهم ويفتيهم في نوازلهم"، وخلال هذه المدة تحصل على البضائع والنقود والماشية، مما جعله يفكر في الإستقرار بها لولا المهمة التي كلفه بها السلطان المغربي⁽³⁾.

كما أن أفراد السلطة الروحية قد حضوا بالإحترام في أي مكان يحلون به، فإن حمادوش لما سافر إلى المغرب بهدف التجارة، لم يدفع الرسوم في مرسى تطوان لأنه أظهر كتابا لأحد شيوخه لقائد المرسي الذي جاء فيه "إن هذا الرجل اجتمعت فيه ثلاث خصال، أوجبت عليك أن لا تتعرض له في شيء، الأولى النسب فهو رجل شريف من بيت النبوة الثانية أنه رجل عالم، الثالثة قلة ذات اليد...." فتركه القائد يمر دون دفع أي شيء⁽⁴⁾.

وهذه الفئة لم تكن تتصاهر مع بقية الأهالي بل إنحصرت مصاهراتها فيما بينها أو مع العائلات الغنية، فمثلا في مدينة الجزائر كان العلماء يتميزون بمظهر الأبهة والرفاهية

⁽¹⁾ -عبد الكريم الفكون القسنطيني: منشورات الهداية كشف من ادعى العلم والولاية، الأصالة، ع51، 1977م، الجزائر، ص57.

⁽²⁾ -ابن سحنون أحمد الراشدي: الشعر الجماني في ابتسام الشعر الوهراني: تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة العبت، قسنطينة، الجزائر، 1979م، ص53.

⁽³⁾ -الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ط2، تر: محمد حجي، ومحمد الأحضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2، ص41.

⁽⁴⁾ -عبد الرزاق ابن حمادوش: لسان المقال في النبأ عن النسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، م.و.ك، الجزائر، 1983م، ص ص 111-112.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

وهذه الأسر الغنية ذات الجاه والمكانة، كانوا يشترطون عند تزويجهم بناتهم المصاغ خاصة الجوهر، كما يشترطون الجواري لخدمتهن مثل : عائلة الزهار وعائلة المقرّي⁽¹⁾.

2-مكانة المرابطين في المجتمع الريفي

فئة المرابطين والأشراف حضوا بمكانة وإحترام خاصة من طرف القبائل في الأرياف، وهم لا يختلطون مع عامة الناس، وقد نجح هؤلاء المرابطون والشيوخ في إحلاق الأسر المرابطة بالقبائل، لكنهم بقوا بمعزل عن الناس، خاصة في أمور الزواج فهم يرفضون الإختلاط بالمجتمع عن طريق فضهم لعلاقات المصاهرة، لأنهم يعتبرون أنفسهم مميزين عن غيرهم، والمرأة غير المرابطية غير مقبولة في وسطهم فهم لا يتزوجون إلا فيما بينهم، ومن النادر جدا أن تتزوج مرابطية برجل غير شريف، لأنهم كانوا يحافظون على صفاء نسبهم والزواج المرابط بالمرأة غير مرابطية كان يعد مكسبا وشرف لأهلها⁽²⁾.

وقد عاش المرابط في عزلة عن الناس رغم أنه كان يحظى بإحترام الجميع من الحاكم إلى آخر فرد من الأهالي، ولم يكن يتقاسم مع القبيلة الظروف الصعبة، وقد أعفي المرابطون من الأعمال الشاقة ومن الضرائب وحتى أنهم يعفون من الإنفاق العام على الضيافة وأرضهم كانوا لا يحرقوها بأنفسهم بل الناس هم من يحرقوها ويرعون حيواناتهم⁽³⁾، وهذا يدل على أن مكانة المرابط في الأرياف كانت أعلى من مكانة السلطان نظرا لنسبه الشريف فكل قبيلة كانت تجعل وليها فوق كل الأولياء الآخرين⁽⁴⁾.

وإن إعتقاد السلطة الروحية على النسب الشريف أكسبها نفوذا روحيا في وسط المجتمع فشيوخ الزوايا والمرابطين كانوا يتمتعون بسمعة عالية نافست أرباب السلطة والأعيان من رؤساء القبائل والعائلات النبيلة⁽⁵⁾.

(1)-عائشة غطاس: الصداق بمدينة الجزائر 1672م-1854م، إنسانيات، ع4، جانفي/أفريل 1998، وهران، الجزائر، ص 28.

(2)-دوتي: المرجع السابق، ص123.

(3)-هانوتو/ لوتونو: منطقة القبائل والأعراف القبائلية،تر: مخلوف عبد الحميد الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2013، ص86.

(4)-دوتي: المرجع السابق، ص39.

(5)- التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، ط2، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2009م، ص31.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

وقد كان أقطاب السلطة الروحية يستمدون قوتهم من الدين هذا ما جعل الجميع يخشاهم أهلي وحاكم، لذلك نجدهم يتنقلون في البلاد طولا وعرضا دون خوف من اللصوص أو من قطاع الطرق، وما زاد من هيبتهم ومكانتهم تقربهم من السلطة التي زادت نفوذهم⁽¹⁾.

إن الناس قد كانوا يخضعون لأوامر المرابط وهذا لقدراتهم وكراماتهم وفي هذا يقول حمدان خوجة: "إن طاعتهم للمرابط لا يمكن تفسيرها"، وهذا الاحترام وصل إلى غاية أنه إذا طلب المرابط أحدهم ذبح أبنائه لا يتراجع في هذا، فلا أحد يجراً على مخالفة قرار وحكم المرابط في أي قضية⁽²⁾.

وهذه الطاعة والولاء للمرابط من قبل الأهالي تستمر حتى وفاته فيبقى محل توقير واحترام يفوق الذي حظى به في حياته، حيث أن هذا الاحترام يرثه أبنائه بعده حتى لو أنهم لم يتبعوا سلوك أبائهم فيطلق عليهم لقب "سيدي" وحتى نساء العائلات المرابطية يلقبن "بلالة" دون غيرهم من الناس. ومن علامات الاحترام وتقدير المرابط تقبل يده وملابسه لاعتقادهم بكرامتهم وبمعجزاتهم هذا ما جعل المرابطين لا يتعرضون للإهانة لا في حياتهم ولا بعد مماتهم⁽³⁾.

ونجد بعض الناس يقسمون بإسم هؤلاء المرابطين والأولياء فيقولون: حق سيدي فلان، وفي هذا قال الفكون أنه إذا أردت معرفة شخص إلى أي حزب أو أي مرابط ينتمي فإستحلفه يتضح لك الأمر من حلفه. وقد كان الفقراء أيضا عند طلبهم الصدقات أمام أبواب المساجد و في الأسواق والطرقات بمدينة الجزائر يتوسلون بإسم سيدي عبد القادر الجيلالي⁽⁴⁾.

ونظرا للمكانة التي إحتلتها هذه الفئة في المجتمع كانوا يستشارون في الكثير من القضايا مثل تنصيب شيخ القبيلة الذي كان يلعب المرابط دورا بارزا في اختياره، لذا نجدهم قد

(1)-صالح عباد: المرجع السابق، ص363.

(2)-حمدان خوجة: المرأة، المصدر السابق، ص56.

(3)-هانوتو لوتورنو: المرجع السابق، ج2، ص56.

(4)-محمد نقروش: الظاهرة المرابطية في ظل التغير السوسيو ثقافي في منطقة القبائل، ماجستير علم الاجتماع الديني،

جامعة الجزائر2، 2008، ص83.

الفصل الثاني مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية

فرضوا العديد من المعاملات اليومية ومعاملات الزواج ونصت على إحترامها وعدم مخالفتها ومن يخالفها يصاب بالذل والجوع والإهانة⁽¹⁾.

إضافة إلى هذا شكل المرابطون مرجعية دينية وأخلاقية واجتماعية، حيث كانوا يتقدمون لرئاسة كل المناسبات الدينية داخل المسجد، وحتى مناسبات الولادة والزواج والدفن، وإذا كان مرابط القرية غائب يلجؤون إلى مرابط القرية المجاورة لينوبه، وهذا كله احترام وتقدير لهم وإيماننا بكراماتهم وبركتهم⁽²⁾.

(1)-ابن زروق تونس مخلوف ساجية: المرجع السابق، ص83.

(2)-زروقة جيجيك: المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال الكتابات الفرنسيين، ماجستير تاريخ حديث ومعاصر، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2001م، ص102.

الفصل الثالث

علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

-المبحث الأول: مرحلة التقارب والود بين الحكماء والعلماء

-المبحث الثاني: مرحلة توتر والعداء نهاية القرن 18م

المبحث الأول: مرحلة التقارب والود بين الحكام والعلماء

1- العمل الجهادي أو الجهاد ضد عدو مشترك

بنتبع مسار المقاومة التي خاضها الجزائريون ضد الإسبان، نجد أول من عارض الاحتلال الإسباني في الجزائر هم العلماء والمرابطين، فالزوايا من خلال نشاط الطرق الصوفية والمرابطين أثارت الحماسة وتنظيم المقاومة، وهذا بالريف نظرا للدور الإيجابي الذي كانت تلعبه منذ القرن 16م، حيث كان المرابطون عبارة عن الواجهة الأمامية أمام العدو، وقد عملت الحركات المرابطية على تجنيد الناس وغرس مشاعر الحماسة والمقاومة لديهم، وهذا بإسم الجهاد في سبيل الله ضد التواجد الإسباني⁽¹⁾، فقام المرابطون وأتباعهم للجهاد وصاحبهم في هذا الأمر الرافضين للتواجد المسيحي، وبهذا إكتسب العثمانيين مجد الجاهد المقدس. وقد ناصرهم المجاهدون لإطعامهم بزواياهم في هذا السياق نذكر مثال: زاوية محمد بن علي المجاجي المعروف بأبهلول التي كانت مركز للمجاهدين حيث أنه في يوم قام بإطعام ألف وثلاث مئة مجاهد، وقد استمرت هذه الأخيرة في عملها الجهادي إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر⁽²⁾.

وقد كانت إنطلاقة روح الجاهد من المساجد والزوايا حيث وجد طلبة العلم وشيوخ الزوايا فكان له تأثير وقوة، أكبر وهو ما دفع بالحكام إلى الإنضمام إليه وتنظيم مساراته خاصة وأنه منذ دخولهم الجزائر، يدركون أن ما يربطهم بالأهالي هو الجهاد ضد العدو (الغزو الأجنبي) والدين، لهذا عملت الزوايا والمساجد على التخلص من التناقضات الداخلية وتوحيد تيار الجهاد⁽³⁾.

فالسطة الروحية خلال القرنين 15م و16م أي فترات قوتها ونفوذها، ظهر العثمانيون لمساندة الأهالي والوقوف إلى جانبهم للدفاع عن بلادهم، وهذا لأن العدو كان واحد والمتمثل في الخطر المسيحي، ثم استقروا بالبلاد بحكم أنهم هم حماة البلاد⁽⁴⁾.

(1)-نصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص38.

(2)-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص202.

(3)-العسلي بسام: المرجع السابق، ص ص 98-184.

(4)-ألغرد بل: الفرق الاسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي إلى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م، ص184.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

والعثمانيون منذ دخولهم الجزائر أدركوا أنهم غرباء لا يتكلمون لغة السكان ولا يعرفون تقاليدهم ولا طريقة عيشهم، ولم يلدوا على أراضيهم، والعامل الوحيد الذي يربطهم بالأهالي هو الدين الإسلامي والجهاد من أجل صد عدو مشترك، وعليه سعى العثمانيون للبحث عن حلفاء لهم ضمن فئات المجتمع يؤمنون بفكرتهم الجهادية ويكونون أكثر حماساً، فوجدوا رجال الدين والعلماء الذين رأوا فيهم القوة الإسلامية المنقذة للبلاد والفوضى التي عاشتها بعد تفكك المغرب الإسلامي. فصارعوا ضد التواجد المسيحي وكان هذا الجهاد في نظر العلماء والمرابطين جهاداً مقدساً، وانتصاراتهم تركت الأثر الإيجابي والحسن لدى الأهالي هذا ما جعلهم يتعاونون معهم ومبايعتهم، ومباركة حركتهم الجهادية⁽¹⁾.

فالسلطة الروحية رأت أن أعمال العثمانيين تدخل في إطار الجهاد في سبيل الله ومثال ذلك: التحالف الذي كان بين عروج وابن القاضي سنة 1512م لتحرير بجاية، فقام ابن القاضي بدعم العثمانيين في جهادهم ضد الإسبان، وكان من العلماء الذين يدعون الجهاد ومساعدة العثمانيين، عندما استقروا بجيجل سنة 1514م، وقد استمر هذا التحالف طيلة التواجد العثماني بالجزائر، وهذا ليس من طرف السلطة الروحية لوحدها بل شمل حتى أمراء القبائل⁽²⁾. وأثناء الفتح الأول 1118هـ-1708م والثاني لوههران سنة 1206هـ-1792م ظهرت رابطة جهاد قوية بين السلطة الروحية والعثمانيين، ودليل ذلك أن الداوي محمد بكداش كان ينظم قواته من جهة بينما كان رجال الدين والأئمة في المساجد يبثون الحماس في قلوب الناس ويشجعونهم على القتال⁽³⁾.

كما ذكر "المدني" أن أبو بزيد عبد الرحمان الحلفاوي قول: "جاء الناس إليه من كل فج عميق... وكان طلبة العلم حفظة القرآن هم أشد الناس مسارعة لإجابة دعوى السلطان

(1)-حمدان خوجة: المرأة، المصدر السابق، ص111.

(2)-عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ج3، 2009، ص ص 461-458.

(3)-العسلي بسام: المرجع السابق، ص120.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

إلى الجهاد المبارك⁽⁴⁾ وحسب أحمد توفيق المدني "أنه كان أكثر الناس حرصا على الشهادة في سبيل الله"⁽¹⁾.

وإن التواجد الإسباني على السواحل الجزائرية عزز فكرة التحالف والتقارب بين السلطة العثمانية والسلطة الروحية، لأن السلطة لم تكن بإمكانها التغلب على هذه التهديدات دون مساعدة من المرابطين، فالسلطة الروحية هي التي تلهب الناس لمواجهة العدو الأجنبي، فتشارك العثمانيون والمرابطين في صد العديد من الحملات مثل: حملة أوريلي سنة 1775م⁽²⁾.

ولقد كان الجاهد يمثل الإهتمام الأول في اهتمامات العلماء الذين شاركوا في الجهاد وقاموا نظم الأشعار لإلهاب حماس الناس الذي كان يعرف "شعر الاستصراخ"⁽³⁾ وكانوا من أكبر المحرضين على الجهاد والحث على واجب تحرير الأرض المغتصبة وهو أيضا يعتبر منفذ بعض العلماء لتعبير بما في داخلهم اتجاه السلطة⁽⁴⁾.

حاز العثمانيون على إعجاب الجزائريين الذين تخوفوا من الإسبان وتوسعه داخل البلاد وكذلك صراعهم ضد الإسبان ذو الصبغة الدينية، وهذا ما كانوا ينددون به في قصائدهم الحماسية، حيث أصبح الجهاد مظهر من مظاهر التقارب والتحالف بين الحكام والعلماء وخاصة المرابطين وشيوخ الزوايا فإكتسبوا دعمهم ومساعدتهم⁽⁵⁾.

يمكن القول أن الرابطة الدينية الجهاد في سبيل الله كانت العامل الأكبر الذي جمع بين الجزائريين والعثمانيين، حيث ساند الأهالي العثمانيين ولبوا نداء الجهاد وهذا منذ بداية تواجدهم في الجزائر إلى غاية خروجهم، ونجد أن هناك تفاعل الحاكم للعثمانيين مع

(4) - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 455.

(1) - أحمد توفيق المدني: حرب ثلاثمائة....، المرجع السابق، ص 456.

(2) - علي خنوف: المرجع السابق، ص 50.

(3) - شعر الإستصراخ: شعر يطرح القضايا الخاصة بانتشار الظلم وسوء الأحوال المادية، كان موجه في لغالب إلى

الحكام، الكتاب، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 210.

(4) - يحي بوعزيز: إعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص 230.

(5) - كورين شوفاليه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510م-1541م، تر: جمال حمادنة، دم.ج،

الجزائر، 2007، ص 86.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

الحركة الجهادية، هذا ما دفع العلماء والمرابطين والفقهاء يساندونهم، ويحرصون على تعبئة الأهالي والغرس فيه روح الجهاد، وعليه يمكن القول أن لسلطة الروحية الدور البارز في توطيد العلاقة بين السكان الأهالي والسلطة العثمانية⁽¹⁾.

2-المعتقد الديني والصوفي العثماني

لما دخل العثمانيون الجزائر تقربوا من العلماء والمرابطين وتبركوا بهم خاصة المرابطين والطرق الصوفية، لأنهم جاءوا من المنطقة الصوفية في المجتمع العثماني قائمة على قاعدة متينة، وممارسات اجتماعية ودينية امتدت لقرون من الزمن، فالطرق الصوفية كانت منتشرة بصورة واسعة في آسيا الصغرى، ومثال ذلك البكداشية التي خضعت لها الحياة الدينية للقاعدة الشعبية أكثر مما خضعت لرجال الدين الرسميين، كما أن الدراويش كانوا وراء تقدم الأتراك في الأناضول، وكانوا هم الروح التي تحرك الجندي التركي للجهاد والإستماتة فيه⁽²⁾.

وكذلك حال دخولهم الجزائر وجدوا السلطة الروحية من المرابطين والطرق الصوفية تقودهم وتؤثر فيهم وتحميمهم وتدفع بهم إلى الجهاد والمغامم وتبارك أعمالهم، فكانوا يكون لرجالها الولاء وينظرون إليهم نظرة المرید لشيوخه والعبد لسيدته، فإن كانوا قد اعتمدوا بإسطنبول على الكبداشية والمولوية فإنهم وجدوا في الجزائر المرابطين ورجال الطرق الصوفية خاصة الشاذلية والقادرية، حيث وجد فيهم العثمانيون السند لهم⁽³⁾.

وهذا التصوف بسط نفوذه شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، وله عظيم الفضل في رفع راية الجهاد ضد الغزو الصليبي، وعليه كان ملزم على العثمانيين اتباع السياسة الدينية والصوفية بالجزائر⁽⁴⁾.

ولقد كانت العلاقة التي ربطت العثمانيين بالأولياء والعلماء تعكس لنا ما كان في إسطنبول حيث كان للعلماء مكانة لدى السلطان، فكاد نفوذه السياسي يفوق نفوذه الروحي، وهذا

(1)-أرزقي شويتام: دور القوى المحلية في الجزائر في ظل الحكم العثماني، الملتقى الدول حول ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي، بسكرة 1، 2 سبتمبر 2010، الجزائر، ص162.

(2)- محمد إسماعيلي: مشايخ خالدون وعلماء عاملون، ط4، دار الهدى، ميلة، الجزائر، 2001م، ص50-51.

(3)-عدنان حقي: الصوفية والتصوف، ط2، دمشق، سوريا، 1992م، ص12.

(4)-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص185.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

راجع إلى إستشارة السلاطين لشيخ الاسلام في الأمور السياسية بإعتبارهم أصحاب البركة، كما كنت للإنكشارية علاقة وطيدة بال دراويش وخاصة المولوية والبكداشية⁽¹⁾. الذي لعبت دورا في المؤاخات بين الجنود دينيا وعسكريا في الأناضول⁽²⁾. فارتبطوا بها ارتباط وثيق، وأظهروا لشيخها الطاعة والولاء⁽³⁾.

بما أن العثمانيون كانوا مدركين أن الإسلام هو رصيدهم ومصدر قوتهم، لهذا لم يجدوا بديلا عن التعامل مع المرابطين والطرق الصوفية، فالجندي الإنكشاري لما يحل بالجزائر يحمل معه عقائد مارساها في وطنه، وهناك مرابطون آخرون بالجزائر يزودونه بالبركات والدعوات كلما إمتطى سفينته للغزو والجهاد في سبيل الإسلام والغنائم، وهو بهذا مارس نفس المهمة التي كان يمارسها أبأوه في الأناضول والبلقان⁽⁴⁾، خاصة أن الدراويش الذين يرافقون الجيش لا يعودون إلى إسطنبول بل يلازمون الجيش ولا يخرج الجند إلى المعركة إلا بعد تبركهم بالولي سواء كان حيا أو ميتا⁽⁵⁾، وقد استمروا في ممارسة عقائدهم الدينية التي مارسوها في إسطنبول بعد حلولهم بالجزائر، حيث نجدهم يزورون الأولياء طلبا للنصر والبركة⁽⁶⁾.

بإضافة إلى أنهم كانوا يطلقون طلقات مدفعية عند ذهابهم وعند رجوعهم تبركا واحتراما لهم، ويأخذون قطع أقمشة من الضريح لتعلق على السفن لإعتقادهم أنها تجلب لهم الحماية والنصر⁽⁷⁾.

ولقد كان من عادة رؤساء الفرق الجهادية عن إستعدادهم للحرب زيارة الولي سيدي

(1) - أكرم كيدو: مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، تر: هاشم الأيوبي، ط1، منشورات جروس برس، طرابلس، لبنان، 1992م، ص ص 103-104.

(2) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص186.

(3) - عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1980، ج1، ص481.

(4) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص ص 189-190.

(5) - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء.....، المرجع السابق، ج3، ص196.

(6) - حمدان خوجة: المصدر السابق، ص111.

(7) - بودريعة ياسين: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، ماجستير، جامعة الجزائر، 2007م، ص92.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

عبد الرحمان الثعالبي، وكذلك ضريح سيدي علي العباسي⁽¹⁾، ولذلك الولي دادا الذي ارتبط إسمه بهزيمة شارلكان عند حملته على الجزائر سنة 1541م⁽²⁾، كانوا يشعلون الشموع فوق المدافع لتهيئة البحر، وكذلك كانوا يحرسون على زيارة أحد المرابطين الأحياء ليخبرهم إذا كان خروجهم للبحر فيه نصر أم لا، وفي حين عودتهم من البحر يحرسون تخصيص جزء من الغنائم إلى أضرحة المرابطين الذين كان لهم الفضل في نجاح هذه الحملات⁽³⁾.

معتقداتهم الدينية السالفة جعلتهم يتقربون من المرابطين يطمئنون لهم ويتبركون بهم يستشيروهم ويعملون برأيهم، وفي هذا السياق ذكر "أبو القاسم سعد الله": "أن أحد كبار العثمانيين أراد الإستيلاء على الحكم بالجزائر فاستشار أحد المرابطين الذي اقترح عليه التصدق بمبلغ مالي ويذبح أربعة كباش وتوزيعا على الفقراء واعداء إياه بالنصر، وقد أخذ معه برنس المرابط إعتقادا منه أنه سيحميه، لكن لما وصل إلى قصر الباشا ألقى عليه القبض وأعدم"⁽⁴⁾.

كان العثمانيون بالجزائر أقرب الناس إلى رجال الدين والمرابطين، فمنذ بداية العهد لا حظنا أن العثمانيون كانوا يطمئنون إلى المرابطين أكثر من غيرهم فيلجأون إليهم ويتبركون بهم ويطلعونهم على خططهم ونحو ذلك مما يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين⁽⁵⁾.

فالطرق الصوفية حركة ظهرت قبل الدخول العثماني للجزائر لكنها إنتشرت وتوسعت خلال العهد العثماني، فقد لعبت دورا هاما في مجال الجهاد، لأنهم هم أصلا كانوا يدعون إلى الجهاد فتوافق الشعر مع الجهاد البحري الذي رفعه العثمانيون، وبما أنها كانت سلطة لها شأنها في البلاد فإستكلفت بتسيير أمور البلاد داخليا، خاصة شؤون الرعية التي ارتبطت حياتهم ببركة أو بسخط المرابط⁽⁶⁾.

(1)-الزهار: المصدر السابق، ص61.

(2)-أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء.....، المرجع السابق، ج2، ص196.

(3)-وليام سينسر: المرجع السابق، ص63.

(4)-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص469.

(5)-نفسه، ص464.

(6)-حمدان خوجة: المصدر السابق، ص57.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

إن عامل الجهاد، وإدراك العثمانيين أنهم غرباء عن الجزائر، بالإضافة إلى العقيدة الصوفية التي كانوا ينتمون إليها، دفعهم للبحث عن حلفاء لهم في الجزائر ضمن فئات المجتمع، فكانت هذه الفئة فئة العلماء ورجال الدين⁽¹⁾، الذين استمر معهم التحالف منذ القرن 16م إلى نهاية القرن 18م، حيث نجد أن الحركة المرابطية وطدت نفوذها العثمانيين وباعتبارهم القوة المؤثرة في المجتمع، كانت تصلهم هدايا وهباب إيماناً منهم بمعتقداتهم الدينية ونزعتهم الجهادية التي يمكن الإعتماد عليها⁽²⁾.

(1)-عدنان حقي: المرجع السابق، ص12.

(2)-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 190-191.

المبحث الثاني: مرحلة التوتر العداء نهاية القرن 18

شهد التحالف الطبيعي بين الحكام و العثمانيين والسلطة الروحية بداية التصدع منذ نهاية القرن 18م، فالتغيرات التي حصلت والمنعرجات السياسية حالت دون استمرار هذا التحالف، وإنقلبت السلطة الروحية إلى أداة لتحريض السكان ضد السلطة العثمانية ويمكن تفسير هذا التحول للأسباب التالية:

1-السياسة الضريبية أواخر العهد العثماني

إن التغيرات السياسية والاقتصادية التي عرفت الجزائر العثمانية بداية من القرن 17م وتولي الباشوات السلطة السياسية، وما إنجر عن ذلك من إرهاب لكاهل السكان خاصة سكان الأرياف بالضرائب بهدف تعويض ما تم دفعه مقابل تولي هذا المنصب، ثم إختلال التوازن بين الأسطول الجزائري والأساطيل الأوروبية والذي دفع هو الآخر إلى زيادة المطالب المالية من أجل تغطية هذا العجز، وهو حالة من النقمة في أوساط السكان، إضافة إلى نقمة الجهاز الإداري على شح النشاط البحري بسبب توقيع المعاهدات مع الدول الأوروبية... إلخ⁽¹⁾.

إن القوة المالية للجزائر وإلى غاية القرن 18م كانت تعتمد على النشاط البحري والذي كان مفتاح التحالف المرابطي العثماني، لكن نتيجة لتغير موازين القوى وتغير الظروف الدولية وبداية تراجع هيبة البحرية الجزائرية دفع السلطة إلى محاولة البحث عن مصدر ثابت لتحويل الخزينة، وهو ما سبب لها نفورا من طرف رجال الدين الذين إلتحموا مع الأهالي ورفضوا هذه السياسة، ما ولد حالة من النفور والتوتر في العلاقة التي تربطهم بالسلطة ثم تحولت شيئا فشيئا إلى عداء وصراع ثم ثورة بداية من القرن 19⁽²⁾.

ولقد عرف القرن 18م بداية تناقص غنائم البحر بحوالي 100 ألف فرنك فرنسي وتراجع عدد السفن... إلخ، وبهذا بدأت القوة المالية للجزائر تتقهقر، ونتيجة لهذا الوضع والشح في الموارد البحرية توجه إهتمام الحكام نحو الداخل وخاصة في الريف من أجل تغطية

(1)-ناصر الدين سعيدوني: تدعيم التركي بالجزائر، الأصاله، ع32، الجزائر، 1976م، ص593.

(2)-فلة موساوي القشاعي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771م-1830م، ماجستير تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 1982م، ص81.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

العجز وتوفير الإحتياجات المالية، وهو ما أدى إلى حرمان السكان من مداخل الزراعة⁽¹⁾.

ولقد أصبحت الضرائب هي المصدر الأساسي لدخل الخزينة، والملاحظ أن هذه الضرائب لم تكن ثابتة ولا محددة نوعا ولا كما خاصة في القطاع الفلاحي⁽²⁾، والذي لم تراخ السلطة السياسية ظروف القائمين عليه وتعرض الفلاحون خاصة إلى استغلال بشع من طرف السلطة والتي لم تكن تسعى إلا توفير الأموال من أجل تغطية نفقاتها المختلفة، وهناك طريقة أخرى اتبعها الباي "محمد الكبير" عن توليه الحكم، وهي إخضاع معظم القبائل المتمردة وإرغامها على دفع الضرائب ما أدى إلى إرتفاع واردات البايلك المالية⁽³⁾، وما رحلته إلى الجنوب حملته مناطق بالأغواط، خير دليل على ذلك كانت حصيلته كما ذكر "ابن هطال" خمسة آلاف ريال بوجو ومائة خدم ومائتين وخمسين بعيرا...⁽⁴⁾.

2-أنواع الضرائب المفروضة على السكان: إمتاز النظام الضريبي الذي فرضته السلطة بنوعين حسب المناطق (سكان المدن وسكان الريف)، ففي المدن تأتي على رأس النظام المالي الضريبي الرسوم المفروضة على أصحاب الأنشطة التجارية، أين كان أصحاب الحرف أو النقابات المهنية يتكفون بتزويد الخزينة بمبالغ مالية مختلفة⁽⁵⁾.

أو تقديم خدمات مجانية للبايلك، فحوانيت الحداد بمليانة كانت تزود الجيش الإنكشاري بما يحتاجه من أسلحة وسروج وأجمة مجانا مقابل السماح لهم بمزولة نشاطهم وبيع منتوجاتهم⁽⁶⁾، كما فرض على المدن التي بها حاميات عسكرية ما يسمى "لزمة الضيافة" أو "ضيافة دار السلطان"، أين بلغت في المدن الرئيسية كالمدينة 3000 ريال بوجو، وهذه الضريبة كانت تفرض حتى على التجار الوافدين على المدن⁽⁷⁾.

(1)-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص 38-39.

(2)-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع نفسه، ص 32-33.

(3)-فتيحة لواليش: الحياة الحضرية ببايلك الغرب، ماجستير، جامعة الجزائر، 1992م، ص 27.

(4)-محمد التلمساني ابن هبطال: رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم

الكتب، القاهرة، مصر، 1969م، ص 55-56.

(5)-عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 182.

(6)-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص 62.

(7)-عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 184-185.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

إضافة إلى هذه الضرائب الثابتة كانت هنالك ضرائب أخرى مستخدمة مثل: رسوم الأسواق والتي يستخلصها "خوجة الرحبة"، حيث كان لكل سلطة تدخل السوق مشرف يأخذ ما يترتب عنها من "مكس" مثل: خوجة الفحم، خوجة الخشب..... إلخ، وقد بلغ المكس في بعض الأسواق كسوق علي خوجة بزراوة حد 10% من نسبة البضاعة⁽¹⁾. وأيضاً هناك ما يعرف بـ: "حق العسة" والتي فرضتها السلطة على الحرفيين من أجل حفظ الأمن و"ضريبة العام"⁽²⁾.

النوع الثاني من الضرائب هو الضرائب التي فرضت على السكان الأرياف والتي كان لها صلة مباشرة بالثورات التي شهدتها الإيالة بداية القرن 19م، والتي مثلت صورة القطعية النهائية بين الإيالة والسلطة الروحية.

لقد تغير موقف السلطة الروحية من الحكام، حتى الذين كانت تجمعهم بهم صداقات وعلاقات متينة نتيجة سياستهم التعسفية والتي أثرت سلباً على سكان الأرياف وأبرز هؤلاء الحاكم "صالح باي" والذي عرف آخر عهده تغير سيرته ومسيرته، فأخذ يظلم الناس ويفرض عليهم الضرائب المجحفة دون مراعاة لظروفهم وأوضاعهم المعيشية، وهو ما جلب له عداً الرعية ونفور رجال الدين منه وظهور خصوم له⁽³⁾، قاموا بشكواه إلى الداى الذي قام بعزله، ورغم ذلك استمر الوضع ببايلك الشرق على ما هو عليه، من حيث فرض الضرائب الجائرة، إضافة إلى الضرائب الشرعية كـ: "العشور" و "الزكاة" فرضت السلطة أنواع جديدة من الضرائب سميت بـ: "الضرائب المستحدثة"، والتي غالباً ما يلجأ إليها وقت الظروف الاقتصادية الطارئة من أجل تغطية العجز المالي وكانت أكثر حدة على سكان الريف أين ألحقت بهم أضرار كبيرة أدت إلى هجرة الفلاحين لأراضيهم وهروب القبائل من الجبال ثم التمرد والثورة في آخر المطاف⁽⁴⁾.

(1)-ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص108.

(2)-عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص185.

(3)-ناصر الدين سعيدوني: وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص125.

(4)-محمد الصالح العننزي: فريدة مؤنسة في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة، مراجعة و تقديم وتعليق: يحي بوعزيز،

د.م.ج، الجزائر، 1991م، ص65.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

أيضا من بين الضرائب المستحدثة نجد "ضريبة اللزما" وهي ضريبة استثنائية فرضت على القبائل المقيمة في المناطق الجبلية والبعيدة بهدف المساهمة في نفقات الجند وكانت تدفع نقدا أو عينا مثل: القبائل المجاورة لتلمسان كبني سنوس وولهاصة...، وحتى البايات كانوا ملزمين بتقديم لزما للباشا فباي الغرب كان ملزما بتقديم 80 ألف ريال صغيرة وباي الشرق بدفع 80 ألف ريال كبيرة، أما باي التيطري فيدفع 14 ألف ريال صغيرة... (1).

أيضا من بين الضرائب المستحدثة نجد " الغرامة" وهي ضريبة تفرض على المناطق البعيدة أو الخارجية على إدارة السلطة كالهضاب والمناطق الجبلية والصحراوية، وكانت تسدد نقدا أو عينا(2).

وأيضا "ضريبة الخطية" وهي ضريبة ظرفية تفرض على القبائل المتمردة عند إخضاعها أو طلبها الأمان، كما تفرض على الأشخاص كعقاب لهم عند مخالفتهم القوانين أو كدية للمجرمين، وشكلت هذه الأخيرة مصدر الدخل الريفي ببايلك الشرق (1/5 من موارد الخزينة في عهد الحاج أحمد باي)، وهناك نوع آخر من الضرائب(3)، وهو "ضيفة الباي" والتي كانت تدفع سنويا للباي عند مروره على أراضي قبائل الرعية ، وهو الذي يحدد مقدارها وتكون حسب مكانة القبيلة... إلخ(4).

كذلك "ضيفة الدنوش" وهي ضريبة فصلية يدفعها شيوخ القبائل للباي أو الخليفة عند توجههم لتقديم الدنوش، حيث يشتري بها الباي هدايا ليقدمها للداي وكانت غالبا ما تقدم كل 6 أشهر.

وأيضا نجد "ضيفة العادة" وهي ضريبة تدفع اعترافا بسلطة الباي والخضوع لأوامره و"حق الجيل" وهي تدفع في كل غريب يستقر في قبيلة ما حتى ولم سكن من الخماسين أو الرعاة.

(1)-ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص97.

(2)-ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه، ص95.

(3)-فلة موساوي القشاعي: النظام الضريبي، المرجع السابق، ص67.

(4)-ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص96.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

المعونة: تدفع إلى دار المونة في نفس توقيت العشور، وهي ضريبة غير محددة الكمية ولا من حيث الوقت، تقدم غالبا في الصيف بغرض تمويل الحاميات العسكرية بالمدن وفرق النوبة بالأرياف وتكون على شكل غنائم أو حبوب ... تتسم بالإنخفاض وقت التسليم.

حقوق التولية: وهي ما دفعه الموظفين عند توليهم المناصب للبايات مثل: البرنوس الذي كان يدفعه شيخ القبيلة عند توليه المنصب، وفي المقابل يجمع هذه الضريبة من أفراد القبيلة تحت ما يسمى "ضريبة حق الفرع"⁽¹⁾.

مهرباشا: وهي تؤخذ على الخيل لتجديد فرسان البايك، وإضافة إلى هذه الضرائب هناك ضرائب أخرى سنوية منها "ضريبة العسة"، التي تدفعها قبائل الصحراء عن قدومهم التل لإقتناء الحبوب⁽²⁾.

إن هذه السياسة الضريبية المجحفة والتي كانت تقوم على إستحواذ البايات كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الأهالي وعلى أي مادة تنتجها الأرض عكست سياسة الأواخر من الحكام، والذين صاروا يخرجون المحلات لإستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين عكس الأوائل، والذين كانت الجباية عندهم المنهج الشرعي فقط⁽³⁾. وبإضافة إلى كثرة الضرائب وتتنوعها فإنها أيضا كانت تتم بصورة تعسفية وإستغلالية تحت الضغط والإكراه، وأيضا إرسال الحملات التأديبية لإرغام الأهالي على دفعها في حالة إمتناعها⁽⁴⁾، يضاف إلى هذا عدم نزاهة تعسف الوسطاء من كبار الموظفين وقياد وشيوخ القبائل، والذين كانوا يأخذون نصيبهم من مخزون الضرائب⁽⁵⁾ وهو ما يؤكد "حمدان خوجة" بالقول "إن جباة الضرائب يقومون بتجاوزات وكانوا يجمعون أكثر من اللازم وهذا من أجل زيادة ثروتهم"⁽⁶⁾.

(1)-ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص ص 97-98.

(2)-فلة موساوي القشاعي: النظام الضريبي، المرجع السابق، ص 97.

(3)-وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816م-1824م، تع: اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م، ص 59.

(4)-ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 122.

(5)-مبارك الملي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ج 3، ص 303.

(6)-حمدان خوجة: المرأة، المرجع السابق، ص 144.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

الذنوش: كل ما يجمعه البايات يقدم في الذنوش للحكومة المركزية كل 03 سنوات من طرف البايات وكل 06 أشهر من طرف خلفائهم⁽¹⁾، وكان بايلك الشرق أكثرهم من حيث قيمة وكمية الذنوش المقدمة كونه يحصي أخصب الأراضي وأجودها، والتي شكلت سنة 1763م 29% من مداخيل الخزينة و 32% سنة 1822م، ومن البايات من كان يقدم هدايا حتى للسلطان العثماني مثل : "الباي نعمان" الذي أرسل سنة 1812م هدايا للقسطنطينية، تتكون من 200 قطعة ذهبية و 125 بوجو و 02 برانس و 02 حايك... إلخ.

إن ما كان يقدمه البايات وحتى خلفائهم كان في معظمه عبارة عن رشاوي وترضيات لداي وكبار القادة بمدينة الجزائر لشراء ذممهم لأن هذه الذنوش هي التي كانت تحدد مصيرهم وحتى مصير حياتهم، والتي كانت مرهونة بمدى توفيرهم الأموال لإشباع جيش الداي وحكومته، لهذا كان إذا قرب وقت الذنوش تراهم يأخذون أموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب، هذا ما دفع بالفلاح البسيط بدفع ثمن رفاهية الداي وحاشيته رغما عنه⁽²⁾.

إن هذه الأعمال التعسفية جعلت أغلب الأهالي وخاصة الفلاحين يلجؤون لبيع بضائعهم لتجار الأجانب لتقلت من الرقابة ولا تقع تحت طائلة الضرائب⁽³⁾، كما كان جزء منهم يلجأ نحو الجبال حتى لا تصلهم يد السلطة⁽⁴⁾، لكن الحكام عمدوا إلى حيلة "جديدة وهي مباغته الفلاحين أثناء جني المحصول وإرغامهم على الدفع أو مصادرة محصولهم ومواشيهم.

لقد استمر هذا الوضع حتى بعد قيام ثورة درقاوة، مثلما فعل الباي حسن والذي واصل سياسة الإستنزاف رغم المجاعة والأوبئة التي ضربت بايلك الغرب⁽⁵⁾.

(1)-الزهار، المصدر السابق، ص35.

(2)-وليام شالر: المرجع السابق، ص46.

(3)-مبارك الميلي: المرجع السابق، ص308.

(4)-وليام شالر: المصدر السابق، ص59.

(5)-بن عودة المزاري: المرجع السابق، ص350.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

وإن سياسة الإستنزاف والنهب والضرائب المجحفة التي فرضها الحاكم على المناطق الداخلية بعد تراجع موارد القرصنة أثار ضدهم تمرد السكان، والذي كان كرد فعل على السياسة الجبائية التعسفية التي أنهكت السكان وخاصة بعد تناقص دور العلماء في التوفيق بين متطلبات الحاكم المالية وبين السكان المتأثرين بنفوذهم الروحي⁽¹⁾، خاصة وأن العثمانيين كان آخر إهتماماتهم هو ربط علاقات متينة مع السكان، وإنما كان همهم فقط الجانب المالي والتركيز على تطوير الجهاز الجبائي وتخصيص مصادره للحفاظ على الأمن والإستقرار وضمان مصالحهم وإمّيازاتهم، لكن هذه السياسة ألّبت السكان ضدهم وعلى رأسهم السلطة الروحية وقامت ضدهم العديد من الثورات كان أعنفها الثورات الدينية منذ 1804م.

إن توجه أنظار الحكام نحو الداخل وخاصة نحو الريف من أجل إيجاد مصادر دخل بديلة كانت له عواقب وخيمة اجتماعيا واقتصاديا إنتهت بعواقب سياسية وخيمة مهدت للإحتلال الفرنسي للجزائر⁽²⁾، لأن هذا التحول نحو الداخل والذي لم يكن وفق خطة مدروسة تراعي عدم الإضرار بكل الأطراف، بل أن الحاجة إلى المال دفعت الحكام إلى إنتهاج سياسة ضريبية أدت إلى توتر العلاقة بينهم وبين السلطة الروحية⁽³⁾، وهو ما أدى إلى قيام الثورات دينية بداية من القرن 19م، والتي كانت ظاهريا دينيا إلا أن باطنها اجتماعي واقتصادي⁽⁴⁾.

2- علاقة السلطة الروحية بالمجتمع

إن دخول الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية إنما كان بإسم العقيدة الإسلامية واحترام تعاليم الإسلام في الحق والمساواة بين الجميع وفتح باب الشورى في جميع الأمور لكن عكس ذلك، حيث أساء الحاكم التصرف وحكموا كفة متميزة إحتكرت السلطة⁽⁵⁾

(1)-نصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص60.

(2)-فلة ميساوي القشاعي: النظام الضريبي، المرجع السابق، ص63.

(3)-مبارك الملي: تاريخ الجزائر القديم المرجع السابق، ج3، ص304.

(4)-رشيدة شكري معمر: السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية 1518م-1830م، أطروحة لنيل

شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2017م-2018م، ص484.

(5)-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 140-143.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

فبدلاً من أن يندمجون ويتعارفوا لتنظيم البلاد وجعلها حصناً منيعاً إنعزلوا عنهم⁽¹⁾. إن الحكم العثماني في الجزائر لم يشكل كياناً متجانساً، فأغلب السكان كانوا مهمشين ولم تكن تربطهم بالسلطة سوى دفع الضرائب المختلفة خاصة فئة القبائل، والتي أطلق عليها إسم "الرعية" وقد طبقت عليها قوانين الحرب الإسلامية والتي تقع على بلد غير مسلم بعد فتحه⁽²⁾.

ورغم عدم تجانس السلطة الحاكمة (أتراك-يونانيون...) ⁽³⁾، وقلة عددها (20 ألف نسمة) إلا أنها ظهرت كقوة مميزة واحتلت السلم الاجتماعي وإنعزلت عن باقي السكان رغبة في الإستئثار بالمناصب وإرتكزت علاقتهم بالأهالي على أسلوب تسير إستمدوه من التنظيمات العثمانية القائمة على إقرار الأمن والهدوء ولو بإستعمال القوة وضمن إستخلاص الضرائب بشتى الطرق، وبالتالي الحفاظ على الوضع الاقتصادي والاجتماعي يضمن إمتيازاتهم ونفوذ المتعاونين معهم على حساب السكان⁽⁴⁾، وهو ما جعل علاقتهم بالسكان تتسم بالعدوانية والنفور المتبادل.

ولقد عمل الحكام على محاولة إبقاء الأهالي بعيدين عن أية مساهمة في أمور الدولة رغبة في بقاء سيطرتهم على المناصب الحكومية⁽⁵⁾، لذا ضربوا حصار حول أنفسهم وعلى مراكز القوة حتى لا يشاركونهم أحد من السكان وهو ما حال دون إندماج في الأوساط الشعبية⁽⁶⁾.

وحتى مؤسسة الجيش لم يكن يسمح للجزائريين بالإنخراط فيها وهو ما اعتبرته القبائل "جيشاً أجنبياً"، ولم يكن يسمح للجند بالإختلاط بالسكان والزواج منهم ويشجعونهم على

⁽¹⁾ -محمد العربي الزبيري: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، 1976م، ص ص 69-70.

⁽²⁾ -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 211.

⁽³⁾ -الغريبي الغالي: الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، ماجستير، جامعة دمشق، سوريا، 1985م، ص93.

⁽⁴⁾ -نصار الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وأفاق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص174.

⁽⁵⁾ -الغريبي الغالي: الثورات الشعبية، المرجع السابق، ص94.

⁽⁶⁾ -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص145.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

الذهاب لبيوت الدعارة على الزواج من الأهالي. وإن حدث الزواج يحرم الإنكشاري من عديد الإمتيازات التي كانت يتمتع بها سابق⁽¹⁾.

لقد كانت السمة البارزة في العلاقة بين العثمانيين والأهالي هي فكرة التعالي العرقي فالعثمانيون اعتبروا أنفسهم أسيادا، وأنهم خلقوا ليحكموا الأهالي ليخضعوا ويطيعوا⁽²⁾، أو هم في نظرهم عبد للدولة فقط خلقوا ليدفعوا الضرائب ولخدمة الدولة⁽³⁾.

إن هذا الشعور بالتعالي والتفوق لم يشمل الاهالي فقط بل إمتد حتى لفئة الكراغلة وأحفادهم فرغم قبول إنخراطهم في الجيش إلا أنه لم يكن يسمح لهم الإرتقاء في أعلى المناصب خاصة العسكرية وتخوفوا منهم⁽⁴⁾، ولم يثقوا فيهم لإعتبارهم جزائريين أكثر منهم أتراك، لذلك تجدهم جندوا الجنود من الأناضول وأزمير، وهذه السياسة هي ما حلت دون إندماجهم مع السكان رغم العامل الديني المشترك⁽⁵⁾.

وقد ساد في المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني سياسة التمييز والتعالي والإقصاء سواء للأهالي أو للزعامات المحلية هو ما سيمهد لبروز الثورات الروحية أواخر العهد العثماني والملاحظ أن هذا التعالي تجلى حتى خلال المحاكمات فالإقتصاص من العثمانيين كان يتم سرا حتى تحفظ كرامتهم والعكس لدى الجزائريين أين كانوا يتعرضون للإعدام والشنق في الساحات العمومية حتى يكونوا عبرة لغيرهم⁽⁶⁾.

والملاحظ أن سياسة التعسف طالت حتى الأوقاف وتتم الإعتداء عليها، وهو ما ذكره "الورتيلاني" عند دخول الأتراك بسكرة قائلا: "اجتمع عليها ظلم الأتراك، وظلم الأعراب فكانت بينهما كالكره... غير أن الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيما، وما كان من المدارس والأحباس التي توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها وينتفعون...."⁽⁷⁾.

(1)-سعيدوني و الوعبدلي: المرجع السابق، ص93.

(2)-وليام شالر: المرجع السابق، ص54.

(3)-عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص180.

(4)-عائشة غطاس وآخرون: المرجع السابق، ص142.

(5)-مبارك الميلي: تاريخ الجزائر القديم.....، المرجع السابق، ج3، ص302.

(6)-وليام شالر: المصدر السابق، ص46-47.

(7)- الحسين الورتيلاني: نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م،

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

ومن أبرز أمثلة البطش والتتكيل بالأهالي ما قام به الداى "الحاج علي" سنة 1809م، أين قام بصلب 36 رجلا من موزاوية لرفضهم الوشاية بالأعراب الذين قتلوا جنديا إنكشاريا⁽¹⁾، وأمام القبائل التي كانت ترفض لخضوع للبايلك فيتم فرض عقوبات قاسية عليها تصل حد منعها من ارتياد الأسواق، وإن فعلت ذلك تتعرض أفرادها وتجارتهم للمصادرة والحجز ومن البايات الذين إشتهروا بالظلم والفساد والإستبداد والبطش وسوء المعاملة "الباي أحمد شاوش القبائي" الذي أفلس الخزينة في ظرف 15 يوم فأضر بالرعية في المدن والأرياف وصادر ممتلكاتهم حتى سمي باي نفسه، باي رأسه، باي ذراعه.... وأيضا "الباي شاكِر" الذي عرف بالبطش وسفك الدماء والإستحواذ على ثروات الناس وكان رجلا ذو بطش غالب عليه صلابة العجم فيسفك دماء في الحق والباطل ويأخذ أرزاق الناس بالغزو ولا يبالي بمن هو طايح أو عاصي وفي زمنه إشتهر الترك بالظلم... وقد إعتدوا على أسلوبين لسيطرة على الرعية من حيث:

-التوجه نحو شيوخ الزوايا ورجال الطرق والتقرب منهم ومهادنتهم ومراهنتهم وهذا لنفوذهم الروحي الرعية بالتالي السيطرة غير المباشرة على الأهالي⁽²⁾.

-الإعتماد على قبائل المخزن والتي كانت اليد التي بطش بها الحكام في مواجهة أي تمرد أو انتفاضة من طرف السكان⁽³⁾، فالبايات كانوا لا يتوانون في استعمال القوة وإرتكاب الجرائم أثناء خروجهم في الحملات الجبائية أو الردعية معتمدين على قوة قبائل المخزن وما يعرف "الشواف" الذي يرشدون المحلة لتحركات القبائل، وهو ماحدث في عهد "صالح باي" الذي قام بعد توليه الحكم سنة 1771م حملة شرسة ضد "أولاد نايل" المتمردة على السلطة فقام بقطع رؤوس رجالها وأرسل حوالي 60 رأسا لرجالها و 400 زوجا من آذانهم إلى الجزائر مما اضطر القبيلة إلى طلب الأمان.

وفي سنة 1825م أعطى الباشا أمرا للباي "بومرزاق" بمهاجمة قبائل الحرازية والأرباع والتي قدمت من الجنوب نحو التل شراء الحبوب بحجة دعمها للثورة التيجانية

(1)-أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص111.

(2)-الغربي الغالي: الثورات الشعبية، المرجع السابق، ص ص 77-78.

(3)-الغربي العنتري: المرجع السابق، ص68.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

فقام الباي بومزراق حملة مكونة من 4500 فارس وهاجم هذه القبائل وفتك بها وبأعيانها⁽¹⁾.

ولم يقتصر تسلط وظلم البايات على الحملات التأديبية وسياسة القمع فقط تعداه إلى سياسة الإحتكار الاقتصادي أين إستأثرت السلطة بالأشراف وعلى قطاعات الإنتاج الرئيسية وهذا رغبة منها في الحصول على الربح الوفير⁽²⁾، فإحتكروا الإنتاج واستغلوا الفلاحين ومثال ذلك أنا البايلك كان يشتري الحبوب ب:8.80 قرش للصاع الواحد ويبيعه للتجار الأجانب ب:26.30 قرش، والأمر نفسه بالنسبة لصوف والشمع وغيرها من المنتوجات، إضافة إلى تعاملهم مع اليهود والذسن إحتكروا تجارة الحبوب مثل "الداي مصطفى" والذي تعامل معهم على حساب السكان خاصة وقت المجاعة وهو ما أدى إلى مقتله سنة 1805م⁽³⁾.

إن هذا النظام الإقطاعي التعسفي الذي مارسه رجال السلطة جعل الثروة تتجمع في أيدي العثمانيين فقط، فجل الأراضي بسهل متيجة الخصب كانت ملكا للدايات وأصحاب المناصب العليا، وهو نفس الشيء ببايك الشرق وبايك الغرب أين كانت السلطة تستحوذ على أخصب الأراضي، في حين بقي الأهالي في رقعة ضيقة لهم مساحات جد محدودة⁽⁴⁾.

إن مرد سياسة العثمانيين ترجع لكونهم افتقدوا إلى تصور واضح يعمل على محاولة كسب السكان الإندماج معهم وعاملوهم بمبدأ الإحتقار والتخوف منهم، وهو ما جلب نقمة الرعية عليهم خاصة بعدما تهادوا في ظلمهم وفرضوا عليهم الضرائب الجائرة وهذا عكس ما تميز به الحكم العثماني في بداياته، فنجد الحكام في أواخر العهد العثماني قد إنعزلوا عن السكان وأقاموا بينهم الحواجز من الوسطاء لعلماء الدين ورؤساء القبائل وشيوخ الأعراش....)، وهذه السياسة هي ما حالت دون إندماجهم مع الأهالي⁽⁵⁾.

(1)-نصر الدين سعيدوني: ورقات، المرجع السابق، ص ص 527-528.

(2)-نصر الدين سعيدوني: النظام المالي...، المرجع السابق، ص 320.

(3)-نصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص 104.

(4)-المرجع نفسه، ص ص 51-52.

(5)-عبد القادر بن مسلم: أنيس الغريب والمسافر، تح وتبع: رايح بوثار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974م، ص 108.

الفصل الثالث..... علاقة السلطة الروحية بالسلطة السياسية

وربما ترجع هذه السياسة التي مارسها الحاكم مع الرعية كونهم اعتبروا أنفسهم غرباء عن البلاد ولا توجد بينهم أي روابط ما عدا رابط الدين وهو الشيء الذي دفعهم إلى ارتكاب ما ارتكبه من ظلم وفساد اتجاه الرعية⁽¹⁾.

إن هذه الممارسة أدت إلى إنتشار السخط بين السكان خاصة بعد عجزهم عن دفع الضرائب، لهذا لجؤوا إلى الثورات⁽²⁾، والتي كانت تحصيل حاصل لحالة عدم الثقة وبعد الحكام عن آمال الرعية وأحوال الناس، حيث قلت ثقة الشعب فيهم لأنهم اهتموا بمصالحهم وإمّيازاتهم بالدرجة الأساسية، وبالتالي فشلت فكرة التضامن الإسلامي التي إعتدها العثمانيون لبسط نفوذهم في الأوساط الشعبية، وذلك بالتقرب من شيوخ الزوايا والمرابطين، لكن ذلك لم يمكنهم من وضع أسس قوية للإحتكاك بالرعية لأنهم هؤلاء سرعان ما انقلبوا على السكان وشكلوا طبقات ارسنقراطية تراعي هذه الأخرى مصالحها فقط⁽³⁾.

السياسة الظالمة التي إنتهجها الحكام والقائمة على إحتقار الرعية ومعاملتهم بسوء وعدم العمل على دمج التنظيمات الاجتماعية من قبائل ومشيخات ومرابطين في نظام واحد موحد وإقصاء الأهالي من تسيير وإدارة شؤون بلادهم وتهميشهم تهميشا كليا هو الذي دفع الأهالي إلى التمرد على النظام والثورة ضده⁽⁴⁾.

وفي الأخير تبقى الميزة الإيجابية للوجود العثماني في الجزائر هو أنه حماها من الخطر الأجنبي وحافظ على إستقلالها وسيادتها وجعل منها قوة كبيرة خاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

⁽¹⁾-عبد الجليل التميمي: العرب والترك في إطار الدولة العثمانية، المجلة التاريخية، ع17-18، 1980م، ص91.

⁽²⁾-محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال 1972م-1830م، ط2، م.و.ك، ص25.

⁽³⁾-عبد القادر حلمي: المرجع السابق، ص279.

⁽⁴⁾-رشيدة شكري معمر: المرجع السابق، ص495.

خاتمة

من خلال ما سبق تمكنا من التوصل إلى النتائج التالية:

-بعد الوضع المتردي الذي آلت إليه السلطة السياسية ظهرت السلطة الروحية لتسيير أمور المجتمع بعد أن نفرّوا من السلطة السياسية، وانضموا إلى القيادة الروحية بزعامة المرابطين والفقهاء وشيوخ الطرق الصوفية.

-السلطة الروحية كانت تسعى لغرس روح الجاهد وعن الدفاع عن الوطن.

-حافظت السلطة الروحية على تماسك المجتمع وإنسجامه الثقافي من تعليم ومساعدة للفقراء والمحتاجين والمحافظة على السلم والأمن الداخليين، من خلال زواياها التي نظم الناس باختلاف إنتماءاتهم العرقية والجهوية والمهنية.

-السلطة الروحية قامت بتوفير الحماية للأهالي خاصة في الأرياف، لأن هذه القبائل كانت بحاجة لهذا الأمن بسبب الإضطرابات والصراعات، فلتفوا حولها ووقفوا لها أوقاف.
-بفضل الأدوار التي لعبتها السلطة الروحية في المجتمع أثرت في الناس وجعلتهم يلتفون حولها، وهذا مالفت انتباه السلطة العثمانية وجعلها تترك المكانة التي تحظى بها أقطاب السلطة الروحية ولهذا سعت لتقرب منها.

-المرابطون وشيوخ الطرق الصوفية والزوايا هم ما كانوا يتحكمون في نفوذ السلطة فبفضل شخصية المرابط ومكانته العلمية ونسبه الشريف يستطيع توجيه الناس إلى المسعى الذي يريده وهذا راجع للثقة العمياء الذي يضعها المرید في شيخه.

-إمتاز العهد العثماني بإنتشار التصوف بين جميع أفراد المجتمع، حيث أصبح مزيجا بين العلم والجهل والخرافات، وهو بهذا سيطر على توجه مسار الحياة السياسية والاجتماعية والروحية، فرغم اتساعها الجغرافي في كامل تراب الوطن إلا أنها فقدت عمقها الفكري لذلك نجد نوع من الركود في الحياة الفكرية في العهد العثماني.

-استغلال المرابطين وشيوخ الزوايا لجهل الناس وضيق تفكيرهم وإعتقاداتهم البدائية لبسط نفوذهم بإهام الناس بإمتلاكهم البركة وحصولهم على الكرامات، وأن على أيديهم الشفاء وتمنحون العناية والحماية للأشخاص والمدن وحتى القبائل.

-المعتقدات الدينية والجهاد ضد عدو واحد ألا وهو الإسبان، تبث وجود العثمانيين بالجزائر بإعتبارها حامي لدين، هذا ما دفع الأهالي وعلى رأسهم السلطة الروحية قبولهم في الجزائر والإستجداد بهم.

- أكبر عامل ربط السلطة الروحية بالسلطة العثمانية هو عامل الجاهد الذي وحد الأهالي حول السلطة الروحية متجاوزين كل التناقضات مجندين ضد الخطر المسيحي دون أي إغراءات أو مصالح خاصة.

- كسب العثمانيون ود أفراد السلطة الروحية بمنحهم الإمتيازات والصلاحيات المتنوعة كما قلدوهم مناصب إدارية وأخرى شرفية توارثوها لعدة عقود من الزمن، وقد حافظوا على هذه الامتيازات لفترة متأخرة من الوجود العثماني، لأنه دليل على ولائهم وتعاونهم مع السلطة.

- رغبة في إكتساب المكانة المرموقة في المجتمع إدعى البعض النسب الشريف ومنهم من انتصب المشيخة وأقام الحضرة والواعادات وجمع الأتباع من حوله ناشرا بذلك البدع والخرافات نتيجة لضعف الوازع الديني وإفتقاره لمبادئ التصوف.

- نتيجة لتقرب الحاكم من السلطة الروحية ظهر المدعين للولاية، وهذا من أجل إظهار كراماتهم للتقرب من الأحكام، وبهذا تحول المرابط والمتصوف إلى زاهد في الدنيا يبحث عن المناصب والمال.

- تحالف السلطة الروحية مع السلطة العثمانية لم يستمر إلى نهاية العهد العثماني بل زال بزوال دوافعه، وخاصة دافع الجهاد ضد الإسبان الذي انتهى بإسترجاع مدينة وهران.

- كانت السلطة الروحية أداة لترسيخ الحكم العثماني بالجزائر، وهذا نتيجة التعاون بينها وبين السلطة العثمانية، ولكن هذا التعاون والتحالف لم يستمر إلى غاية نهاية العهد العثماني نتيجة تضارب المصالح، وعليه يمكن القول أن هذا التحالف بينهما جمعه المصلحة المشتركة، وبزوال هذه المصالح تحولت السلطة الروحية إلى قوة مضادة للسلطة العثمانية.

الملاحق

الملحق (01): وثيقة تبين إعفاء بعض العلماء من الضرائب (1)

الحمد لله الذي جعلنا من آل أبي طالب من آل الله وأوليائه وصحبه وسلم تسليماً
 ليعلم الواجب عليه على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم التابذة والعلية
 ثنائته وفدوه من الفوائد والعمال والخاص والعامة وسائر المعصومين في الأحوال ببلدتنا
 الجزائر المحمية بالله تعالى من سوء الدوائر وسائر المخالقات سجد الله الخبيث وهو الكل
 إلى صالح القول وحسن الصنيع أما بعد فقد أتفق أمرنا الرشيد وعزونا الصائب
 السيد علي أنما قد أنعمنا على السادات الأبرار والعلماء الأفاضل البغية
 الأجل التي هي الأفضل التالفة كتاب الله عز وجل بسيرة محمد بن زبير وسيرة العرج
 وسيرة الصوارب والنسب عابد ومأجدة أولاد سيدنا الحاج عبد الهادي
 أنعمنا تامة شاملاً عاماً وحررناهم أي ربوعنا عنهم أو الكمال المنزنية -
 فليلها وجليلها عليهم وعلى أعقابهم وأعقابهم حتى يرضى الله الأرض
 ومن عليها وهو خير الوارثين لأنه ثبت لدينا أنهم شرفاً النسب ووافور موقف
 أبيهم الكريم مع القسمة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد وعظنا
 عنهم الكمال المنزنية فلت أو جلت لأنهم لذلك أهل لهم إلهية الله أصلاً
 وحرماً واحسنتهم صنفاً وأولادهم عهداً وأصدقهم وعداً بآلهم أحدهم بسوء
 خرافة محال ومن تعرض لهم فقد حلت عليه عفوئنا الشديدة ونجره عليه
 احكامنا بحيث لا يمنعنا مانع ولا يشجع له منافع وعلى هذا يكون
 أمر ولايات الأسلاك العاصيين الخصاص من فاضل ومعت وكفاح وقد أوصينا وأمرنا
 لهم بالتعظيم والاحترام والمهابة والأكرام وقد أنعمنا عليهم أنعمنا تامة شاملاً
 عاماً محسب الواجب عليه العمل بما فيه ولا يخالفه أحد ولا يتعدى عليهم
 والله الموفق للصواب واليه المرجع والشاب آرب غير ولا معبود سواه والأمر
 كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسام التاج به البد، والجنام
 وكتب على أذن العظيم أربع العمام لا نفع مؤانة القواتع السور حسبي فاش
 العجماء الله من الخيرات ما يشاء إمامي إمامي إمامي إمامي إمامي الخراج
 التي هو من عام ١٤٣٥
 ونص الخاتم
 القنصل على الرخس
 عبد الحسين بن
 حسن ١٤٣٥

(1) -رشيدة شدرى معمر: السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية (1518م-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في تاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2017م-2018م، ص621.

الملحق (02): يمثل صورة خير الدين بربروس⁽¹⁾



ARIADENO BARBAROSSA

Kheir-Eddine (Barberousse II)

خير الدين (بربروس الثاني)

⁽¹⁾ - مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط1، ج1، دار البعث، قسنطينة، 1985م، ص60.

قائمة المصادر

و المراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أولاً: المصادر

- 1- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، الجزء 5، دون تاريخ .
- 2- ابن حمادوش عبد الرزاق: لسان المقال في النبأ عن النسب و الحال، تحقيق : أبو القاسم سعد الله، م.و.ك، الجزائر، 1983م.
- 3- ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، ديوان المبتدأ و الخبر، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004م.
- 4- ابن رقية التلمساني محمد بن عبد الرحمان، الزهرة النيرة بما جرى في الجزائر حين غادرت جند الكفرة، مجلة تاريخ و حضارة المغرب، ع3، 1967م.
- 5- ابن سحنون أحمد الراشدي : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م.
- 6- ابن ميمون الجزائري محمد: التحفة المرضية في الدولية البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق و تقديم: محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م .
- 7- ابن هبطل محمد التلمساني: رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1969م.
- 8- الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ط2، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.
- 9- خوجة حمدان بن عثمان: المرأة، تحقيق وتعليق : محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975م.
- 10- الزهار أحمد الشريف: مذكرات نقيب اشراف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972م.
- 11- مريم التلمساني محمد: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، الطبعة الثعالبية، الجزائر 1908م.

قائمة المصادر والمراجع.....

12-المزاري بن عودة، طلوع سعد المسعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا
أواخر القرن 19، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ج2،
1990م.

13-مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتعليق: رابح بوشار،
ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974م.

14-الورتيلاني الحسين : نزهة الانظار في فصل علم التاريخ و الأخبار، مطبعة بيار
فونتانا، الجزائر، 1908م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة

1-ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان وأخبار تونس في عهد الأمان، ج1، ط2،
الشركة التونسية النشر والتوزيع، تونس، (د.ت).

2-أديب حرب: التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808م-
1847م)، ج 1، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2004 م .

3-إسماعيلي محمد: مشايخ خالدون وعلماء عاملون، ط4، دار الهدى، ميله،
الجزائر، 2001م.

4-ألفريد بل: الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي الى اليوم، ترجمة : عبد
الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

5-ألتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود على عامر، ط1،
دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت 1989 م .

6-أوكان عمر: مدخل لدراسة النص و السلطة، ط 1، مطبعة إفريقيا الشروق، دار
البيضاء 1991م.

7-إيفون توران: المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (1830-1880م)، ترجمة:
محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبه، الجزائر، 2005م.

8-بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيلة أمين فارس منير البعلبكي،
ط5، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، 1968م.

9-بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من بداية إلى غاية 1962م، ط1، دار
الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 م .

قائمة المصادر والمراجع.....

- 10-بودريعة ياسين: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، ماجستير، جامعة الجزائر، 2007.
- 11-بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م.
- 12-بوعزيز يحي: موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب، دار الهدي، عين مليلة، الجزائر، ج1، 2001م.
- الجميبي عبد المنعم: الدولة العثمانية والمغرب العربي، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1988م.
- 13-جوليان شارل أندري: تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م.
- 14-حركات إبراهيم: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال القرنين ونصف قبل الحماية، ط 1، مكتبة دار البيضاء، المغرب، 1985م.
- 15-حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، مج2، ج3، 1992م.
- 16-حقي عدنان: الصوفية والتصوف، ط2، دمشق، سوريا، 1992م.
- 17-حلمي عبد القادر: مدينة الجزائر ونشأتها و تطورها قبل 1830م، المطبعة العربية، الجزائر، 1972م.
- 18-خليل أحمد خليل: العرب والقيادة، دار الحداثة، ط1، بيروت، 1981 م.
- 19-خنوف علي: السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999م.
- 20-دوتي إدموند: الصلحاء، ترجمة : محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014م.
- 21-الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال (1972م-1830م)، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984م.

قائمة المصادر والمراجع.....

- 22-الزبيري محمد العربي: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، 1976م.
- 23-زيادة خليل: الكاتب والسلطان من الفقيه إلى المثقف، ط1، الدار المصرية للسانية، القاهرة، مصر، 2013م.
- 24-ساحي أحمد: الزواوة من القرن السادس عشر، حتى الثامن عشر، عهد إمارة كوكو (1512-1767م)، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2015م.
- 25-سبنسر وليام: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب و تقديم عبد القادر الزبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006 م.
- 26-سعد الله أبو قاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، (1500م-1830م)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ج3، 2008م.
- 27-سعيدوني ناصر الدين: الجزائر منطلقات وآفاق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م.
- 28-سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.
- 29-سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، م.و.ك، 1984م.
- 30-سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800م-1830م)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979م.
- 31-سعيدوني ناصر الدين: ولايات المغرب العثمانية الجزائر، تونس، طرابلس، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م
- 32-سعيدوني ناصر الدين: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2001م.
- 33-شالر وليام: مذكرات شالر فنصل أمريكا في الجزائر (1816م - 1824م)، تعريب: إسماعيل العربي، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- 34-الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ج 1، 1980.

- 35- شوفاليه كورين: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدية الجزائر (1510-1541م)،
تر: جمال حمادة، د.م.ج، الجزائر، 2007.
- 36- صادق محمد الحاج: مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف ، د.م. ج. 1، الجزائر،
1964م.
- 37- الضيفة حسن: الدولة العثمانية، ثقافة المجتمع والسلطة، ط1، دار المنتخب العربي،
1997 م .
- 38- العاصري نللي سلامة: الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الإجتماعي والديني
الإفريقية في العهد الحفصي، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان .
- 39- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، ط3، دار الهومة،
الجزائر، 2011م.
- 40- عبد الحميد عبد الرحمان: المغاربة في مصر في العصر العثماني، (1517م-
1798م)، دراسة تأثير الجاليات المغربية، من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية،
منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، د.م.ج، الجزائر، 1982م.
- 41- عبد الرزاق: الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع،
القاهرة، مصر، 2004م.
- 42- عبد الله عبد الرزاق: الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الثقافة للنشر
والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004م.
- 43- العجيلي التليلي: الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881م -
1939م)، ط2، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، 2009م.
- 44- العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،
المغرب، ج3، 2009م.
- 45- العسلي بسام: الجزائر و الحملات الصليبية (1571م- 1791م)، ط3، دار
النفائس، بيروت، لبنان، 1986م.
- 46- العسلي بسام: خير الجين بربروس، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1908م.
- 47- عطا الله الجميل شرقي: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس
- الجزائر - المغرب)، ط1، مكتبة الإنجلو المصرية، 2005م.

- 48-العنتري محمد الصالح: فريدة مؤنسة في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، د.م.ج، الجزائر، 1991م.
- 49-غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700م-1830م)، مقارنة إجتماعية إقتصادية، الجزائر، 2012م.
- 50-غطاس عائشة وآخرون: الدولة الجزائرية و مؤسساتها، منشورات المركز الوطني، للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م.
- 51-فركوس صالح : تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الإستقلال المراحل الكبرى و ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
- 52-الفيلاي مختار الطاهر: نشأة المرابطين والطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الجغرافيكس، الجزائر، 1976م.
- 53-قنان جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م-1830م)، المؤسسة المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 2007م.
- 54-كوثراني وجيه: السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولايات العثمانية في بلاد الشام، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1988م.
- 55-كيدو أكرم: مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، تر: هاشم الأيوبي، ط1، منشورات جروس برس، طرابلس، لبنان، 1992م.
- 56-لابيار جان وليام: السلطة السياسية، ترجمة: إلياس حنا إلياس، ط3، عويدات لنشر والطباعة، بيروت، 1990 م.
- 57-مجهول: غزوات خير الدين بربروس وعروج، تصحيح و تعليق: نور الدين و عبد القادر، مكتبة رودسي بن قدور، الجزائر، 1934م.
- 58-المحافظة علي: الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798م - 1914م)، الإتجاهات الدينية والسياسية والإجتماعية والعلمية، الهلية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1978م.
- 59-المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا (1492م-1792م) ش.و.ن.ت، الجزائر، 1965م.
- 60-المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، مطبعة العربية، الجزائر، 1931م.

- 61- معاشي جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق في القرن 10 هـ - 16م إلى القرن 13 هـ -19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001م.
- 62- المليي مبارك: تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ج3، الجزائر، 1964م.
- 63- نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط1، ج1، دار البعث، قسنطينة، 1985م.
- 64- نيقولاوي إيفانتون: الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، ترجمة يوسف عطا الله، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988م.
- 65- هانوتو / لوتورنو: منطقة القبائل والأعراف القبائلية : ترجمة : مخلوف عبد الحميد، الأمل للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، ج2، 2013، 2.
- 66- وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816م-1824م، تع: اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر.

ثالثا: الرسائل الجامعية

- 1- ابن تونس مخلوف ساحية: المواجهة الاجتماعية بين المرابطين و القبائل في منطقة القبائل، ماجستير علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر 1998، 2م .
- 2- جيجيك زروق: المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين، ماجستير تاريخ حديث و معاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2001م.
- 3- حيمر صالح: التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1542م وتأثيراته الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م.
- 4- سي فوضيل مني: الزوايا والأولياء الصالحين في الجزائر، دراسة سوسولوجية وصفية لسيدي نايل دكتوراه علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2، 2011م.
- 5- شدري رشيدة معمر: السلطة الروحية السياسية في الجزائر العثمانية (1518م-1830م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ، الحديث، جامعة الجزائر 2 2017م-2018م .
- 6- الغالي الغربي: الثورات الشعبية اثناء العهد التركي، ماجستير، جامعة دمشق، سوريا، 1985م.

- 7-القشاعي فلة موساوي: الصحة و السكان في الجزائر من العهد العثماني إلى أوائل الاحتلال الفرنسي (1515 م- 1870م)، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2004م.
 - 8-القشاعي فلة موساوي: النضام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771م-1830م)، ماجستير تاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1982م.
 - 9-لوريش فتيحة: الحياة الحضارية ببايلك الغرب، ماجستير، جامعة الجزائر، 1992م.
 - 10-مقصودة محمد: الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العثماني (1519م-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014م.
 - 11-نتيشه: بحث متقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة قسنطينة، 2007م.
 - 12-نقروش محمد: الظاهرة المرابطية في ضل التغير السوسيو ثقافي في منطقة القبائل، ماجستير علم اجتماع ديني، جامعة الجزائر، 2، 2008م.
- رابعا: المجلات**
- 1-بوعزيز يحي: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م، ع 63، 1981م.
 - 2-بونار رابح: الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر، الأصالة، ج 8، 1972م.
 - 3-التميمي عبد الجليل: العرب و الترك في إطار الدولة العثمانية، المجلة التاريخية، ع 17، 18، 1980م.
 - 4-التميمي عبد الجليل: أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1915م لمجلة التاريخ المغربية، ع 6، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1976م.
 - 5-زيادة خالد: السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، ع 39، 40، تونس، 1980م.
 - 6-سعيدوني نصر الدين: تدعيم التركي بالجزائر، الأصالة، ع 32، الجزائر، 1976م.
 - 7-سعيدوني نصر الدين: موظفو المؤسسة الأوقاف بالجزائر أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، المجلة التاريخية المغربية، ع 5، 1980م.

- 8-شويتام أرزقي: دور القوى المحلية في الجزائر في ظل الحكم العثماني، الملتقى الدولي حول ممالك الأمازيغ في العهد الاسلامي، بسكرة، الجزائر، 1-2/ سبتمبر / 2010م.
- 9-الفكون عبد الكريم القسنطيني: منشورات الهداية كشف من إدعى العلم و الولاية، الأصالة، ع51، الجزائر، 1977م.
- 10-العيد مسعود: المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني، سرتا، ع 10، قسنطينة، الجزائر، 1988م.
- 11-العيد مسعود: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ، سرتا، ع3، 1980م.
- 12-غطاس عائشة: الصداق بمدينة الجزائر (1772-1854م)، إنسانيات، ع4، جانفي أفريل، وهران، الجزائر، 1998م.
- 13-غطاس عائشة: القضاة الأحناف بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 17، تونس، 1998م.
- 14-قداش محفوظ: الجزائر في العهد التركي، الأصالة، ع 52، الجزائر، 1977م.
- 15-محمد سي يوسف: نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني (الحياة الفكرية في الولايات العربية)، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، ج1، 1990م.
- 16-مزيان عبد الحميد: المؤسسات الثقافية قبل الإستعمار، مجلة التاريخ، ع22، 1986م.

خامسا: المعاجم و الموسوعات

- 1-ذبيبان سامي و آخرون: قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 1990م.
- 2-الكيالي عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ط3، تحرير ماجد نعمة، أسعد رزوق وآخرون، ج3، بيروت، 1990.
- 3-المؤسسة العسكرية: مجموعة من المؤلفين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990م.

مرجع باللغة الفرنسية

1-Raymond André: grandes villes Arabes à l'époque ottomane , Sindbad, paris, 1985.

فهرس

المحتويات

الصفحة	الفهرس
	شكر وتقدير
	إهداء
	قائمة المختصرات
(أ-د)	مقدمة
المدخل التمهيدي: إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية بداية القرن 16م	
06	المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية
09	المبحث الثاني: الإلتصال بين العثمانيين والعلماء في إيالة الجزائر
الفصل الأول: السلطة الروحية مميزتها ووظائفها	
13	المبحث الأول: مفهوم السلطة الروحية
17	المبحث الثاني: مميزات ووظائف السلطة الروحية بالمدينة والريف
24	المبحث الثالث: مراكز السلطة الروحية
الفصل الثاني: مكانة ودور السلطة الروحية في الجزائر العثمانية	
30	المبحث الأول: أدوار السلطة الروحية
38	المبحث الثاني: مكانة السلطة الروحية في المجتمع الجزائري
الفصل الثالث: علاقة السلطة الروحية بالسلطة	
44	المبحث الأول: مرحلة التقارب والود بين الحكماء والعلماء
51	المبحث الثاني: مرحلة التوتر والعداء نهاية القرن 18م
64	الخاتمة
67	الملاحق
70	قائمة المصادر والمراجع
80	الفهرس